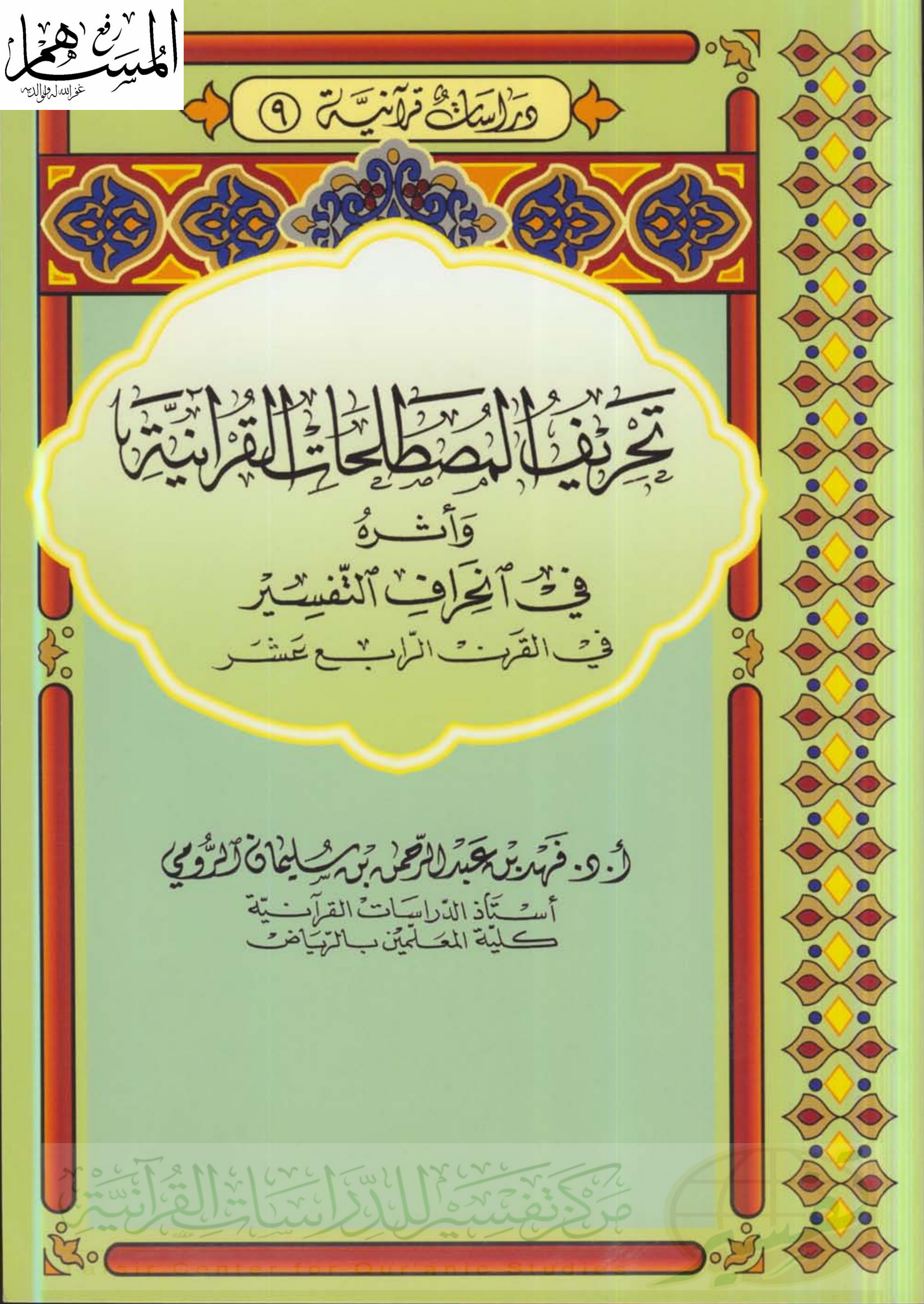

المساهم
غفر الله له ولوالديه
دراسات قرآنية (٩)
تحريف المصطلحات القرآنية
وأثره
في انحراف التفسير
في القرن الرابع عشر
أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية
كلية المعلمين بالرياض
مركز تفسير للدراسات القرآنية

دراسات قرآنية
(٩)

تحريف المصطلحات القرآنية
وأثره
في انحراف التفسير
في القرن الرابع عشر

أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية
كلية المعلمين بالرياض





ح فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان

تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر. /فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. - الرياض، ١٤٢٤هـ

٩٦ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٤ - ٩٨٤ - ٤٣ - ٩٩٦٠

١ - القرآن - مناهج التفسير أ. العنوان

ديوي ٢٢٧،٢ ١٢٤٩/ ١٤٢٤

رقم الإيداع: ١٢٤٩/ ١٤٢٤

ردمك: ٤ - ٩٨٤ - ٤٣ - ٩٩٦٠

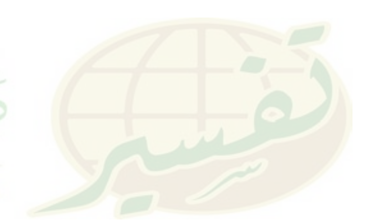
الطّبعَة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

عنوان المؤلف:

ص.ب. ١٥١٧٦ الرياض ١١٤٤٤

السعودية: جوال ٠٥٥٤٧٠٣٢٣




بسم الله الرحمن الرحيم


مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies


تفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد تلقيت دعوة كريمة من الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الشارقة للمشاركة في مؤتمر (الجهود المبذولة لخدمة القرآن الكريم من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم) تحت رعاية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة، الرئيس الأعلى للجامعة وذلك يومي الأربعاء والخميس ٢٣ ـ ٢٤ صفر ١٤٢٤ الموافق ٢٣، ٢٤/٤/٢٠٠٣م وإني لأشكر سعادة عميد الكلية والأخوة العاملين معه لإقامة هذا المؤتمر وتوجيههم الدعوة إلي للمشاركة.

ولا شك ـ عندي ـ أنهم وفِّقوا في اختيار موضوع المؤتمر الذي جاء بعد نهاية القرن الرابع عشر وإن كان حقه أن يكون قبل ذلك بسنوات وذلك أنا بحاجة إلى وقفة ناقدة متأنية ننظر فيها لمسيرة علومنا ومعارفنا خاصة الشرعية منها والمتعلقة بالقرآن الكريم بصورة أخص.

نظرة نعرف منها أين نحن مما ينبغي أن نكون عليه، هل ما زلنا على الجادة أم أن في مسيرتنا انحرافاً وما مدى هذا الانحراف

وكيف نعالجه وحتى لا تكون نظرتنا تشاؤمية ما الجوانب الإيجابية في مسيرتنا وما عوامل تثبيتها بل تنميتها وتقويتها؟

كان يؤرقني ما يتعرض له القرآن من هجوم مشترك متعدد من مناوئيه وتحريفات وإلحاد في تفسيره ليس من المستشرقين فحسب بل من المنتسبين إليه، وقد كثر هذا النوع من التحريف في القرن الرابع عشر حتى كاد أن يصبح ظاهرة.

رغبت في دراسة هذا الاتجاه واختيار لون من ألوانه لتحديد معالمه وكشفه والتحذير منه ثم تحري أسبابه لنلتمس بعد ذلك علاجه، فاخترت الحديث عن «تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر»، ولعلي وفقت في بيان معناه ومدلوله ـ وتاريخه ومجالاته وأثره.

أسأل الله تعالى أن يلهمني ويلهم الأمة رشدها ويوفق الجميع لما فيه الخير والسداد وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ. د. فهد بن عبد الرحمٰن بن
سليمان الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية
كلية المعلمين ـ الرياض

المصطلح مفهومه والمراد به:

المراد بالانحراف الميل والعدول عن الشيء ونريد به هنا الانحراف عن ضوابط التفسير وقواعده المرعية، فيشمل كل انحراف سواء كان إلحاداً أو مجرد اجتهاد خاطئ.

والمصطلح من الصُّلح وهو السِّلم، وقد اصطلحوا، وصالحوا، واصَّلحوا وتصالحوا واصَّالحوا... بمعنى واحد[1]، واصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف وعلى الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا، والاصطلاح: مصدر اصطلح، واتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته[2].

والمصطلح تواطؤ بين طرفين من الناس على مدلول معين للفظ أو تركيب لتيسير تبليغ المعاني المتعددة وفهمها بينهما بلفظ واحد أو ألفاظ قليلة[3].

ولهذا يتحرج بعض الباحثين من استعمال التعبير بالمصطلح القرآني في دراساتهم للقرآن الكريم وذلك لما يوحي به لفظ المصطلح من معنى إنساني فالقرآن ليس تواطؤاً بين طرفين إذ هو كلام الله وحده، ولهذا عدل بعض المفسرين كابن عاشور مثلاً عن

(١) لسان العرب: ابن منظور ص٥١٧، مادة (صلح).

(٢) المعجم الوسيط: ص٥٢٢، مادة (صلح).

(٣) انظر: مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم: د. عبد المجيد النجار ص٢٨٨.

هذا التعبير ليستعمل (عادات القرآن) ناقلاً هذا الاستعمال أيضاً عن بعض قدامى المفسرين كالزمخشري والرازي[1].

ويزول الحرج من استعمال هذا التعبير حينما نؤكد أن المصطلح ليس رهيناً دوماً باتفاق مشترك بين طرفين بل قد يكون موضوعاً من طرف واحد يجري عليه التعبير في دلالة معينة على سبيل الاطراد دون اعتبار لموافقة المخاطبين أو اشتراكهم في وضعه، وإنما يكون دورهم تقصي الاستعمالات من قبل ذلك الطرف ليقفوا على الدلالة المطردة في تعبيره. ومن هذا الاعتبار فلا حرج في القول: إن القرآن الكريم قد استعمل مصطلحات عدة على معنى أنه حمل ألفاظاً وتراكيب ودلالات معينة مطردة وخاطب بها الناس فأصبحوا يفهمونها بمقتضى اطرادها في دلالتها تلك دون أن يكون لهم مدخل في ذلك أكثر من التلقي، ولعله بهذا المعنى استعمل كثير من الباحثين التعبير بالمصطلح القرآني[2].

وينبغي أن نؤكد أن القرآن الكريم لم يكتف بتوسيع دلالات الألفاظ وإثراء الرصيد اللغوي للعربية بل حدد دلالات بعض الألفاظ تحديداً دقيقاً بحيث نجد أن كل لفظة من ألفاظ القرآن تؤدي معنى لا يمكن أن يؤديه لفظ آخر، ونبه الجاحظ إلى هذا المعنى حيث دعا الناس إلى دراسة المعجم القرآني حين قال: ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا

(١) التحرير والتنوير: ابن عاشور ١/ ١٢٤.
(٢) مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم: د. عبد المجيد النجار ص٢٨٨ (بتصرف).

يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث[١].

وكان القرآن الكريم مصدراً أساساً للألفاظ الإسلامية التي استعملها القرآن لمعانٍ جديدة فوسع بذلك مدلولها ومعانيها[٢] فاستعمل الصلاة والزكاة والصيام والإيمان والكفر والفسق والنفاق وغير ذلك كثير لمعانٍ خاصة ومدلولات معينة.

ومما ينبغي ـ كما يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى ـ أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم «ولهذا قال الفقهاء: الأسماء ثلاثة أنواع: نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف بالعرف كالقبض»[٣].

وجوب الالتزام بالمصطلح القرآني:

ولهذا فإنه يصح لنا أن نجزم أنه لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن الكريم وهو غير عالم بمصطلحاته ومعانيها ومدلولاتها.

وقد ينطوي هذا تحت قاعدة مهمة من قواعد التفسير وهي قاعدة: حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن

---

(١) البيان والتبيين: الجاحظ ١/ ٢٠، بتحقيق عبد السلام هارون.
(٢) انظر: المصطلح الإسلامي والمعاجم العربية: د. عبد الكريم بكري ص٥٢.
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٧/ ٢٨٦.

ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك. ويدخل تحت هذه القاعدة جل ما ذكره المفسرون من الكليات[1].

وقد ذمَّ علماء الأمة حمل معاني: ألفاظ القرآن الكريم على غير المراد بها أو ما جرى به استعمال القرآن لها كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «إن هذا القرآن كلام الله عزّ وجل فضعوه على مواضعه ولا تتبعوا فيه أهواءكم»[2]. وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «... ومن هنا غلط كثير من الناس فإنهم قد تعودوا ما اعتادوه إما من خطاب عامتهم، وإما من خطاب علمائهم باستعمال اللفظ في معنى، فإذا سمعوه في القرآن والحديث ظنوا أنه مستعمل في ذلك المعنى، فيحملون كلام الله ورسوله ﷺ على لغتهم النبطية وعادتهم الحادثة، وهذا مما دخل به الغلط على طوائف. بل الواجب أن تعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل في القرآن والسنة وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ، فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله. لا بما حدث بعد ذلك»[3].

وقال أيضاً: «ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فإنهم صاروا يحملون

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين الحربي ١/ ١٧٢ و١٨٤.
(٢) الزهد: أحمد بن حنبل ص٤٦.
(٣) مجموع فتاوى: ابن تيمية ٧/ ١٠٦.

كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك، ويجعلون هذه الدلالة حقيقة وهذه مجازاً كما أخطأ المرجئة في اسم «الإيمان»، جعلوا لفظ «الإيمان» حقيقة في مجرد التصديق وتناوله للأعمال مجازاً»[1].

وساق رحمه الله تعالى عدداً من المصطلحات القرآنية كالإيمان والإسلام والعبادة، والبر، والإثم، والهدى، والضلال، والفقير، والمعروف، والمنكر، والأبرار وغير ذلك ثم قال: ومن أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقاً وخصوصاً: ألفاظ الكتاب والسنة، وبه تزول شبهات كثيرة، كثر فيها نزاع الناس»[2].

وقسم ابن تيمية في مقدمته الاختلاف في التفسير إلى نوعين:

الأول: الخلاف في التفسير من جهة النقل.

الثاني: الخلاف في التفسير من جهة الاستدلال.

وقال عن الثاني أكثر ما فيه الخطأ من جهتين:

أحدهما: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها وهؤلاء راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان وهم صنفان:

الأول: تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأُريد به.

الثاني: وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به.

وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من

---

(١) المرجع السابق: ٧/ ١١٦.

(٢) مجموع الفتاوى: ٧/ ١٦٢ ـ ١٦٩.

المعنى باطلاً، فيكون خطؤهم فيه في الدليل لا في المدلول، ومثل للذين أخطأوا في الدليل والمدلول بالخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم، وهؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم.

ومثل لتفسيرهم بتفسيرهم ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، هما أبو بكر وعمر. و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] هي عائشة، ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢] طلحة والزبير، ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمٰن: ١٩] علي وفاطمة، و﴿ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ٢٢] الحسن والحسين، وذكر مما يقارب هذا من بعض الوجوه تفسير ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩] أبو بكر ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ عمر ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ علي، وأعجب من ذلك قول بعضم ﴿وَٱلتِّينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣] أبو بكر ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ عمر ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ عثمان ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ علي، وأمثال هذه الخرافات التي تتضمن تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحال.

ثم مثل للذين يخطئون في الدليل لا في المدلول بكثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء وغيرهم يفسرون القرآن بمعانٍ صحيحة لكن القرآن لا يدل عليها.

وثانيهما: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب بكلامه، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه، والمخاطب به وهؤلاء راعوا مجرد اللفظ وما يجوز أن يريد به عندهم العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم

وسياق الكلام، وكثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة، كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون. وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق[1].

ونقل قول الفقهاء: الأسماء ثلاثة أنواع: نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩] ونحو ذلك.

فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك قد بَيّن الرسول ﷺ ما يراد بها في كلام الله ورسوله وكذلك لفظ الخمر وغيرها ومن هناك يعرف معناها. فلو أراد أحد أن يفسرها بغير ما بينه النبي ﷺ لم يقبل منه[2].

كما قرر هذا ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله: للقرآن عرف خاص. ومعانٍ معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه، والمعهود من معانيه[3].

وقال السيوطي بعد أن ذكر بعض الأقوال: «ففيه الرد على من تعاطى تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ كما يفعله الباطنية، والاتحادية، والملاحدة، وغلاة المتصوفة»[4].

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص٥٥ و٧٩ ـ ٩٣.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٧/ ٢٨٦.
(٣) بدائع الفوائد: ابن القيم ٣/ ٢٧ ـ ٢٨.
(٤) الإكليل في استنباط التنزيل: السيوطي ص٢٢٩.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: في تفسير قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣] أي فسدت فهومهم، وساء تصرفهم في آيات الله. وتأولوا كتابه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده وقالوا عليه ما لم يقل[1] وقال: «أي يتأولون الكلام على غير تأويله، ويفسرونه بغير مراد الله عزّ وجل قصداً منهم وافتراء»[2].

وأكد هذا العلامة عبد الحميد الفراهي حين قال: «فمن لم يتبين له معنى الألفاظ المفردة من القرآن:

١ ـ أغلق عليه باب التدبر.

٢ ـ وأشكل عليه فهم الجملة.

٣ ـ وخفي عنه نظم الآيات والسورة.

ثم سوء فهم الكلمة ليس بأمر هين فإنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام وكل ما يدل عليه من العلوم والحكم، فإن أجزاء الكلام يبين بعضه بعضاً للزوم التوافق بينها»[3].

ودعونا نختم هذه النقول الكثيرة بما قاله سيد قطب رحمه الله تعالى وقد أكد على هذه القضية مراراً، فمن ذلك قوله: «إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره وفي التصور الإسلامي وتكوينه أن ينفض الإنسان من ذهنه كل تصور سابق، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية، أو عقلية، أو شعورية سابقة، وأن يبني مقرراته

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/٦٦.

(٢) المرجع السابق: ٢/٣٢٣.

(٣) مفردات القرآن: عبد الحميد الفراهي ص٤ ـ ٥.

كلها حسبما يصور القرآن والحديث حقائق هذا الوجود»[1].

وقال: «إن هنالك قاعدة مأمونة في مواجهة النصوص القرآنية.. إنه لا يجوز لنا أن نواجه النصوص القرآنية بمقررات عقلية سابقة[2]، وعلل انحراف بعض التفاسير في بيان المراد بالملائكة والجن والشياطين بقوله: فسبب هذا عندهم أنهم يجيئون إلى القرآن بتصورات مقررة سابقة في أذهانهم أخذوها من مصادر أخرى غير القرآن، ثم يحاولون أن يفسروا القرآن وفق تلك التصورات السابقة المقررة في أذهانهم من قبل، ومن ثَمَّ يرون الملائكة تمثيلاً لقوة الخير والطاعة والشياطين تمثيلاً لقوة الشر والمعصية، والرجوم تمثيلاً للحفظ والصيانة.. إلخ لأن في مقرراتهم السابقة ـ قبل أن يواجهوا القرآن ـ أن هذه المسميات: الملائكة والشياطين والجن. لا يمكن أن يكون لها وجود مجسم على هذا النحو، وأن تكون لها هذه التحركات الحسية، والتأثيرات الواقعية!! من أين جاؤوا بهذا؟ من أين جاؤوا بهذه المقررات التي يحاكمون إليها نصوص القرآن والحديث»[3].

وقرر في موضع آخر «والمنهج الصحيح في التلقي عن الله هو ألا يواجه العقل مقررات الدين الصحيحة.. بمقررات له سابقة عليها، كونها لنفسه من مقولاته المنطقية، أو من ملاحظاته المحدودة أو من تجاربه الناقصة... وليس للعقل أن يقول ـ بعد

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب ٦/ ٣٧٣٠.

(٢) المرجع السابق: ٦/ ٣٩٧٩.

(٣) المرجع السابق: ٦/ ٣٧٣٠.

أن يفهم مدلول النصوص والمقررات التي تنشئها ـ إنني لا أجد هذا في مقرراتي، أو في علمي، أو في تجاربي، فكل ما يبلغه العقل في هذا معرض للخطأ والصواب، وما قرره الله سبحانه لا يحتمل إلا الحق والصواب»[1].

وهذا الشيخ محمد أبو زهرة ينقل عن الغزالي موضع النهي عن الرأي في فهم القرآن فيرى أنه في موضعين:

أولهما: أن يكون له رأي في موضوع الآية ويميل إليه بطبعه وهواه فيتأول الآية من القرآن لتكون على وفق رأيه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى ما كان ليلوح له ذلك المعنى.

وثانيهما: «المسارعة إلى تفسير القرآن بظواهر الألفاظ من غير معرفة المنقول في موضوعها، ومن غير مقابلة الآيات بعضها ببعض، ومن غير معرفة العرف الإسلامي الذي خصص بعض الألفاظ العربية»[2].

وقد اعتبر الدكتور يوسف القرضاوي هذا من أعظم أسباب الانحراف في التفسير حيث قال: «ألا إن من أعظم أسباب الانحراف في فهم القرآن والسنة، التي تحيد بالفرد أو بجماعة ما عن سواء السبيل: هو وضع النصوص في غير موضعها الصحيح والاستدلال بها على غير ما سيقت له، بل على ضد ما جاء به الإسلام ونزل به القرآن وبعث به محمد عليه الصلاة والسلام مما علمه من دينه الخاص والعام ومنشأ ذلك هو اتباع النص المتشابه وترك النص

(١) المرجع السابق: ٢/٨٠٧ ـ ٨٠٩ (باختصار).

(٢) زهرة التفاسير: محمد أبو زهرة ١/٣٥ (باختصار) وقال في الهامش أنه راجع البحث أعلاه على الإحياء مع بيان النتائج من مقدماتها.

المحكم وكثيراً ما يدفع ذلك إلى زيغ القلوب واتباع الأهواء»[(١)].

وما يقرره هؤلاء العلماء الأعلام رحمهم الله تعالى إنما يستند إلى النصوص القرآنية الكثيرة التي تحذر من الإلحاد بآيات القرآن وحملها على غير مدلولها ومنها[(٢)]:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [فصلت: ٤٠] والإلحاد في آيات الله أن يوضع الكلام على غير موضعه قاله ابن عباس رضي الله عنهما[(٣)].

٢ - وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقوله سبحانه: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ﴾ [المائدة: ١٣] ونحو ذلك من الآيات.

٣ - والآيات التي تؤكد على أن القرآن نزل بلسان عربي مبين فلا يصح أن تحمل كلماته على غير مدلولها: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [يوسف: ٢] وقال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، ونحو ذلك من الآيات.

تاريخ تحريف المصطلحات القرآنية:

إن استقراء نصوص علماء السلف في التحذير من تحريف

---

(١) المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة: د. يوسف القرضاوي ص٢٢٥.

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين الحربي ٢/ ٣٥١.

(٣) تفسير الطبري: ٢٤/ ١٢٣.

كلمات القرآن الكريم وحملها على غير مدلولها ينبئ بنشأة هذا التحريف في عصر مبكر من تاريخ التفسير.

وإذا لم نحمل نهي الرسول ﷺ عن القول في القرآن بغير علم وأن من قال فيه برأيه فأصاب فقد أخطأ ووعيد من قال في القرآن برأيه بأن يتبوأ مقعده من النار ونحو ذلك على حوادث عينية أو وقائع حادثة فإنا نجد في الأخبار المنقولة عن الصحابة رضي الله عنهم ما يشعر بحدوث هذا وحرصهم رضي الله عنهم على التحذير من ذلك. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «إنما أخاف عليكم رجلين، رجل يتأول القرآن على غير تأويله، ورجل ينافس الملك على أخيه»[(١)]، وقال أيضاً: «ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا من فاسق بَيِّن فسقه، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله»[(٢)].

وكانت هناك بدايات أولى ـ وحاشا أن تكون تحريفاً ـ لأن المصطلح القرآني لم تكتمل معالمه حينئذ فأدّى إلى نوع من الفهم الخاطئ قَوَّمه الرسول ﷺ في حينه، فحين فهم عدي بن حاتم رضي الله عنه الخيط الأبيض والخيط الأسود خيطين حقيقيين كما هو المدلول اللغوي فسره له الرسول ﷺ بأنه بياض النهار وسواد الليل[(٣)].

ولما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شَقَّ ذلك على الصحابة رضي الله عنهم حين فهموا الظلم على ما يعرفونه من لغتهم بمعناه العام فبين لهم الرسول ﷺ

---

(١) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي ١/ ٢٦٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ٢٨ ص٧٦٦.

المراد بقوله: «إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[١]، فأعادهم عليه الصلاة والسلام إلى المصطلح القرآني وليس إلى مجرد المعنى اللغوي.

وما زال الرسول ﷺ يتعاهد هذا المنهج حتى استقام الصحابة رضي الله عنهم عليه، وأصبحوا بعد ذلك حراس هذا المنهج والذابين عن القرآن، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما يقول عن الخوارج وهي أول الفرق المنحرفة نشأة: «إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين»، وكان يراهم شرار خلق الله[٢]، ولهذا قال ابن حجر رحمه الله تعالى عنهم: «ومن المعلوم أنهم لم يرتكبوا استحلال دماء المسلمين وأموالهم إلا بخطأ منهم فيما تأولوه من آي القرآن على غير المراد منه»[٣]، وقال أيضاً: «فيه الزجر عن الأخذ بظواهر جميع الآيات القابلة للتأويل التي يفضي القول بظاهرها إلى مخالفة إجماع السلف»[٤]، ثم اتسع الخرق بعد ذلك فظهرت فرقة الرافضة واتسعوا في تحريف المصطلحات والألفاظ القرآنية إلى معانٍ غير مرادة، وكذا القدرية والمعتزلة والصوفية والفلاسفة والباطنية والملاحدة وما زالت إلى يومنا هذا تلك التأويلات الباطلة والتفسيرات المنحرفة بل كثرت في القرن الرابع عشر وتنوعت وتعددت، بل صار كل من أراد أن يشتهر، أو يذكر ويُعرف يكتب مقالاً ملحداً أو تفسيراً منحرفاً حتى

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير (سورة لقمان) ص٨٣٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج، ص١١٩٤، وانظر: فتح الباري ١٢/ ٢٩٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٢/٣١٣.

(٤) المرجع السابق: ١٢/ ٣١٥.

صار الرد عليهم وكشفهم هَمّاً عقدياً يؤرق قلوب الغيورين على الدين.

وقد شخص الدكتور محمد حسين الذهبي هذه الظاهرة في هذا القرن بقوله: «مُني الإسلام من زمن بعيد بأناس يكيدون له ويعملون على هدمه بكل ما يستطيعون من وسائل الكيد، وطرق الهدم، وكان من أهم الأبواب التي طرقوها ليصلوا منها إلى نواياهم السيئة: تأويلهم للقرآن الكريم على وجوه غير صحيحة»[1].

ثم بين الباعث لهم على هذا اللون من التفسير فقال: «اندفع هؤلاء النفر من المؤولة إلى ما ذهبوا إليه من أفهام زائفة في القرآن بعوامل مختلفة فمنهم من حسب أن التجديد ولو بتحريف كتاب الله سبب لظهوره وشهرته. فأخذ يثور على قدماء المفسرين ويرميهم جميعاً بالسفه والغفلة ثم طلع على الناس بجديده في تفسير كتاب الله ـ جديد لا تقره لغة القرآن ولا يقوم على أصل من الدين.

ومنهم من تلقى من العلم حظًّا يسيراً، ونصيباً قليلاً لا يرقى به إلى مصاف العلماء، ولكنه اغتر بما لديه فحسب أنه بلغ مبلغ الراسخين في العلم. ونسي أنه قَلَّ في علم اللغة نصيبه، وخَفَّ في علم الشريعة وزنه، فراح ينظر في كتاب الله نظرة حرة لا تتقيد بأي أصل من أصول التفسير ثم أخذ يهذي بأفهام فاسدة، تتنافى مع ما قرره أئمة اللغة وأئمة الدين، ولأول نظرة يتضح لمن يطلع عليها أنها لا تستند إلى حجة، ولا تتكئ على دليل.

---

(١) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي ٣/ ١٨٨.

ومنهم من لم يرسم لنفسه نحلة دينية، ولم يسر على عقيدة معروفة، ولكنه لعبت برأسه الغواية، وتسلطت على قلبه وعقله أفكار وآراء من نحل مختلفة، فانطلق إلى القرآن وهو يحمل في قلبه ورأسه هذه الأمشاج من الآراء فأخذ يؤوله بما يتفق معها تأويلاً لا يقره العقل ولا يرضاه الدين»[1].

وقد تحدث الأستاذ محمد فريد وجدي حديث الخبير عن سبب الإلحاد في العصر الحديث حيث جاء في مقالة له عنوانها «مذهب القرآن في المتشابهات»: «في تلك الأثناء ولد العلم الحديث وما زال يجاهد القوى التي كانت تساوره حتى تغلب عليها، فدالت الدولة إليه في الأرض فنظر نظرة في الأديان وسرى عليها أسلوبه[2] فقذف بها جملة إلى عالم الميثولوجيا[3] ثم أخذ يبحث في اشتقاق أصولها بعضها من بعض واتصال أساطيرها بعضها ببعض فجعل من ذلك مجموعة تقرأ لا لتقدس تقديساً، ولكن ليعرف الباحثون منها الصور الذهنية التي كان يستعبد الإنسان لها نفسه، ويقف على صيانتها جهوده غير مدخر في سبيلها روحه وماله.

وقد اتصل الشرق الإسلامي بالغرب منذ أكثر من مائة سنة فأخذ يرتشف من مناهله العلمية ويقتبس من مدنيته المادية. فوقف فيما وقف عليه على هذه الميثولوجيا ووجد دينه ماثلاً فيها، فلم ينبس بكلمة لأنه

---

(١) المرجع السابق: ٣/١٨٨ ـ ١٨٩.

(٢) يريد التجربة في أسلوب العلم التجريبي وأنه لا يؤمن إلا بما يثبت بالمعامل والمختبرات والتجارب.

(٣) أي علم الأساطير.

يرى الأمر أكبر من أن يحاوله، ولكنه استبطن الإلحاد وتمسك به متيقناً أنه مصير إخوانه كافة متى وصلوا إلى درجته العلمية (!!!).

وقد نبغ في البلاد الإسلامية كتاب وشعراء وقفوا على هذه البحوث العلمية فسحرتهم، فأخذوا يهيئون الأذهان لقبولها دسًّا في مقالاتهم وقصائدهم غير مصارحين بها غير أمثالهم تفادياً من أن يقاطعوا أو ينفوا من الأرض»[1]!!!.

ذلكم ما صرح به الأستاذ محمد فريد وجدي وهو اعتراف خطير يلقي على عاتق العلماء المسلمين خاصة والمثقفين عامة وجوب تمحيص مقالات وقصائد كتاب وشعراء تلك الفترة[2].

ونحن نجزم أن هناك أسباباً أخرى ليس هذا مكان حصرها واستيفائها ويكفي أن نعلم أن بعض من حرفوا نصوص القرآن في القرن الرابع عشر أو حملوها على غير مدلولها يعلمون الحق ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

---

(١) جريدة الأهرام المصرية في ٣٠/٨/١٩٣٣م، ص٣، مقال «مذهب القرآن في المتشابهات» للأستاذ: محمد فريد وجدي.

(٢) انظر: كتابي (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) ٣/١٠٥٨ ـ ١٠٥٩.

مجالات الانحراف في تفسير المصطلح القرآني

هناك مجالات كثيرة للانحراف في تفسير المصطلح القرآني ولعلي أتحدث في هذه العجالة عن ثلاثة مجالات:

١ ـ تحريف المصطلحات العقدية.

٢ ـ تحريف المصطلحات التشريعية.

٣ ـ تحريف المصطلحات اللغوية.

أولاً: تحريف المصطلحات العقدية:

وهو أخطر مجالات الانحراف ـ وكلها خطير ـ والانحراف فيها هو مفترق انقسام الأمة ونشأة الفرق الضالة، والمذاهب المنحرفة، والتفاسير الملحدة نسأل الله السلامة والعافية.

وسأذكر هنا أمثلة لهذه التحريفات منها:

١ ـ الإسلام، الإيمان، الدين، الكفر:

وإنما جمعت هذه المصطلحات الأربعة في حديث واحد للإيجاز ولتداخل بينها وترابط بين مدلولاتها.

ونحن لا نريد هنا التحديد الدقيق لمفهوم الإسلام والإيمان، والصلة بينهما ولكن المعنى العام الذي اتفق عليه المسلمون كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وقد اتفق المسلمون على أنه من

لم يأت بالشهادتين فهو كافر»[1].

ولتحديد مدلول هذه المصطلحات قال ابن تيمية: «واسم الإيمان والإسلام والنفاق والكفر هي أعظم من هذا كله فالنبي ﷺ قد بَيَّن المراد بهذه الألفاظ بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله فإنه شافٍ كاف، بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة»[2].

وقد أورد البخاري رحمه الله تعالى في باب أمور الإيمان[3]، آيتين قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [المؤمنون: ١].

كما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان»[4].

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٧/ ٣٠٢.

(٢) المرجع السابق: ٧/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الإيمان باب أمور الإيمان ص٤ ـ ٥.

(٤) صحيح البخاري: ص٥.

ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته»[1].

هذا هو الإسلام والإيمان أما الدين فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩] صريح في بيانه.

وأما الكفر فمقابل الإيمان كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر يقال هو مؤمن أو كافر»[2].

والنصوص القرآنية صريحة في الفصل بين المؤمنين وغيرهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٧].

فقد ذكر في هذه الآية المؤمنين، واليهود، والصابئين، والنصارى، والمجوس، والمشركين، والعطف بالواو يقتضي المغايرة فهذه الفرق الخمس ليست من المؤمنين بل من الكفار.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البينة: ١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦]، وعلى هذا وما هو معلوم قطعاً فاليهود والنصارى من الكفار.

وقد حرفت طائفة من المفسرين في القرن الرابع عشر هذه

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة ص٦٩.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/ ٢٩٢.

المصطلحات القرآنية فهذا الشيخ رشيد رضا يقول: (وأما لفظ الكفر فيطلق في عرف كتاب اليوم على الملاحدة كما ألمعنا إليه في عرض كلامنا آنفاً، فمهما أطلقنا لقب الكافر أو اسم الكفر في كلامنا فنريد به ما ذكرنا ولا نطلقه على المخالفين لنا في الدين من أصحاب الملل الأخرى لأنهم ليسوا كفاراً بهذا المعنى بل نقول بعدم جواز إطلاقه عليهم شرعاً لأنه صار في هذه الأيام من أقبح الشتائم، وأجرح سهام الامتهان وذلك مما تحظره علينا الشريعة باتفاق علماء الإسلام. ولا يصدنك عن قبول هذا القول إطلاق ما ذكر في العصر الأول للملة على كل ما خالف فإنه لم يكن في زمن التشريع يرمي به لهذا الغرض بل كان من ألطف الألفاظ التي تدل على المخالف من غير ملاحظة غميزة ولا ازدراء فضلاً عن إرادة الشتم والإيذاء المخالفة لمقاصد الدين وآدابه ذلك أن معنى الكفر في أصل اللغة الستر والتغطية..)[1].

وعَرَّف المراد بالإسلام في موضع آخر فقال: (وبذلك تعلم أن المسلم الحقيقي في حكم القرآن من كان خالصاً من شوائب الشرك بالرحمن، مخلصاً في أعماله مع الإيمان، من أي ملة كان، وفي أي زمان وجد ومكان وهذا هو المراد بقوله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥][2]. ثم قال: «نحن المسلمين نعتقد أن دين المسيح عليه السلام هو الإسلام الذي بينا معناه آنفاً»[3].

---

(١) مجلة المنار: ١/١٧ ـ ١٨.

(٢) تفسير المنار: ٣/٢٥٧، وينبغي أن يعلم أن ما يذكره هنا هو ما نقله عن شيخه محمد عبده.

(٣) المرجع السابق: ٣/٢٥٩.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، قال: «وعلم مما تقدم أن المراد بالإسلام معناه الذي شرحناه فمن قام به هذا المعنى فهو المسلم في عرف القرآن، وليس المراد به اسم في حكم الجامد يطلق على أمة مخصوصة حتى يكون كل من يولد فيها أو يقبل لقبها مسلماً. ذلك الإسلام الذي نطق به القرآن ويكون من الذين تنالهم دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام»[١].

ونقل السيد رضا في موضع آخر عن شيخه الأستاذ الإمام محمد عبده بعد أن قرر أن الإسلام ما ذكره أعلاه، وأما في عرفنا اليوم فيطلق على طوائف من الناس لهم مميزات دينية وعادية تميزهم عن سائر طوائف الناس الذين يلقبون بألقاب دينية أخرى - يقصد اليهود والنصارى - فقال: «قال الأستاذ الإمام بعد تقريره هذا المعنى وبه يظهر خطأ من خصص الرغبة عن ملة إبراهيم بالميل إلى اليهودية أو النصرانية»[٢].

كما نجد الشيخ محمد عبده يفسر الإيمان بقوله: «إن الإيمان هو اليقين في الاعتقاد بالله ورسله واليوم الآخر بلا قيد في ذلك إلا احترام ما جاء على ألسنة الرسل»[٣]، فإن سألت عن الإيمان بمحمد ﷺ قال: «لا إشكال في عدم اشتراط الإيمان بالنبي ﷺ ويكفي احترام ما جاء على لسانه»[٤].

وهذا ما يوافق ما قرره شيخه جمال الدين الأفغاني الذي يقول: «إن الأديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية على تمام

---

(١) تفسير المنار: ١/ ٤٧١.
(٢) المرجع السابق: ١/ ٤٧٨.
(٣) رسالة التوحيد: محمد عبده ص١٨٩.
(٤) المرجع السابق: ص١٨٩.

الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في الواحد شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية»[١].

وإذا علمنا انتماء الأفغاني ومحمد عبده للماسونية حينذاك فإن رئيس المحفل الشرقي الأكبر العالمي وهو محمد رشاد فياض يقول: «الميمات الثلاث في الموسوية والمسيحية والمحمدية يجتمعون في ميم واحد هو ميم الماسونية لأن الماسونية عقيدة العقائد، وفلسفة الفلسفات، إنها تجمع وتوحد المتفرقات والمتشتتات، وإن ما أورثه الآباء الصالحون للأبناء هو مبادئ الحرية، والمساواة، والإخاء»[٢].

ويقول الدكتور عبد العزيز كامل: «ونحن في منطقة الشرق الأوسط نؤمن بالتوحيد بطريقة أو بأخرى، وأقولها واضحة: يستوي في هذا: الإسلام والمسيحية واليهودية، حتى الإيمان بالأقانيم الثلاثة في الفكر المسيحي يختم بإله واحد هذه منطقة توحيد والصور تختلف، وتفسيرها الفلسفي يختلف»[٣].

والدكتور محمد عمارة يرفض تحت شعار (وحدة الدين الإلهي) تقسيم الناس على الأساس (المتخلف) إلى مؤمنين وكفار، لأن ذلك التقسيم قد ارتبط بالعصور الوسطى وعهود الظلام[٤]، ويرى أن «الفروق بين المسلمين وأهل الكتاب ليست من الخطر

---

(١) الأعمال الكاملة: جمال الدين الأفغاني جمعها د. محمد عمارة ١/٦٩.
(٢) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين ص١٩٦ ـ ١٩٧، عن كتاب النور الأعظم لمحمد رشاد فياض ص١١٢.
(٣) الإسلام والعصر: د. عبد العزيز كامل ص١٩٤، عن كتاب العصريون معتزلة اليوم: يوسف كمال ص١٠٩.
(٤) تيارات اليقظة الإسلامية: د. محمد عمارة ص٨٠.

بحيث تخرج الكتابيين من إطار الإيمان والتدين بالدين الإلهي»[1].

ويرى عبد اللطيف غزالي أن المراد بالإسلام في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، «الإسلام الذي لا يقبل غيره من الله هو أن تسلم وجهك لله وأنت محسن، وأي امرئ كان هذا حاله فإنه مسلم سواء كان مؤمناً بمحمد أو كان من اليهود أو النصارى أو الصابئين..»[2].

وقد أدت هذه الأفكار والانحرافات إلى ضعف بالإحساس في الفوارق بين المسلمين واليهود والنصارى، وهشاشة في الحديث عنها وهذا ما نلمسه عند كثير من علماء العصر يقول د. محمود حمدي زقزوق: «وتبقى هناك مسألة اختلاف الأديان فعلى الرغم من أن التعاليم الأساسية للأديان السابقة تتفق مع ما أتى به الإسلام إلا أن هناك فرقاً بينها في الأحكام العملية. والثابت على أي حال أن الخير كل الخير في اعتبار الأديان طرقاً مختلفة تهدف إلى هدف واحد، والجميع مدعوون بنص القرآن إلى التسابق في صالح الأعمال وفي الخيرات كلها: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المائدة: ٤٨]، أما الأمور التي اختلف فيها أصحاب الأديان اختلافاً لا سبيل إلى تسويته فتنص تعاليم القرآن كما جاء في تكملة الآية المشار إليها على أن الله سينبئ هؤلاء وأولئك عندما يرجعون إليه بما كانوا فيه يختلفون: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[3]».

---

(١) تجديد الفكر الإسلامي: د. محمد عمارة ص٨٢.

(٢) نظرات في الدين: عبد اللطيف غزالي ص١٦ عن كتاب (أسباب الخطأ في التفسير: طاهر محمد يعقوب ص٨٢٦).

(٣) بحوث ودراسات في ضوء القرآن الكريم: د. محمود حمدي زقزوق ص١٤٤ ـ ١٤٥.

وقد أدى تذويب أو إلغاء هذه الفوارق إلى نوع من الموالاة والمحبة المنهي عنها لليهود والنصارى، ومن ثم إلغاء فريضة من فرائض الإسلام بل ركن من أركان الإسلام وهو الجهاد الذي حولوه إلى الدفاع: «وعللوا كل حركة من حركاته بأنها للدفاع بمعناه الاصطلاحي الحاضر الضيق» كما يقول سيد قطب[1]، فلقد زعم رشيد رضا: «أن حروب النبي ﷺ للكفار كانت كلها دفاعاً»[2][3].

وتظهر صور أثر هذا التحريف للمصطلح القرآني للإيمان والإسلام والدين والكفر في رثاء محمد رشيد رضا في جريدته (المنار) لـ«خريستو غورس جبارة» الذي وصل في الكنيسة الأرثوذكسية إلى رتبة الأرشمندريت بقوله: «كان الفقيد موحداً يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقرآن ورسالة محمد ﷺ ويخالف المسلمين في مسألة الصلب»[4]!!! يؤمن بالقرآن ويعتقد بالصلب!! ويؤمن بمحمد ولا يتبعه!! ويؤمن بالقرآن ولا يمتثل أوامره!! ثم يفوض السيد رشيد أمره في الآخرة إلى العليم الرحيم. إلا أنه يستدرك هذا التفويض!! فيقول: «وأنا أعتقد أنه مؤمن ناج عند الله!! إذا كان قد مات على ما عرفته منه. وهو في مسألة الصلب متأول معذور»[5]!!.

---

(١) خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب ص١٨.

(٢) الوحي المحمدي: رشيد رضا ص٢٧٢.

(٣) انظر: مناقشة هذه الفكرة والرد عليها في كتابي (منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير) ص١٤٠ ـ ١٤٢.

(٤) تاريخ الأستاذ الإمام: محمد رشيد رضا ١/٨٢٧ ـ ٨٢٨.

(٥) المرجع السابق.

كما نراه ينافح عن شبلي شميل النصراني السوري الذي كان يجاهر بكفره على صفحات الجرائد وفي كتبه المنشورة على الملأ وفي رسائله الخاصة للشيخ رشيد ونافح عن كل الإخوان الماسون الذين رثاهم في مناره أو عدد مناقبهم وقد زادوا عن مئة شخصية ومنهم البابا لاون الثاني والقس تيلر[1].

وهذا الشيخ محمد عبده يكتب إلى القس إسحاق تيلر: «كتابي إلى الملهم بالحق الناطق بالصدق حضرة القس المحترم إسحاق طيلر أيده الله»[2]!!.

وحين استنكر أحدهم على محمود أبو ريه ترحمه على نصراني قال: «إذا كان حكمكم على الكافر صحيحاً فإن النصراني ليس بكافر»[3]!! وقال عن أديسون مكتشف الكهرباء: «إذا كان مثل هذا الرجل العظيم وغيره من الذين وقفوا حياتهم على ما ينفع البشرية جمعاء بعلومهم ومخترعاتهم لا يمكن ـ بحسب فهمكم ـ أن يدخلوا الجنة شرعاً لأنهم لم ينطقوا بالشهادتين أفلا يمكن أن يدخلوها عقلاً بفضل الله ورحمته، ما داموا يؤمنون بخالق السموات والأرض»[4]!!.

ومن هذا القبيل عد الدكتور عبد الكريم الخطيب دارون والإسكندر المقدوني من الموحدين بالله ومن أشد المؤمنين إيماناً

---

(١) الدخيل في التفسير في القرن الرابع عشر: عبد الرحيم فارس أبو علبة ١/ ١٠٧.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمد عبده: جمع د. محمد عمارة ٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

(٣) دين الله واحد على ألسنة جميع الرسل: محمود أبو ريه ص٢٨.

(٤) مجلة العربي العدد ٢٦٧، ربيع الأول ١٤٠١هـ.

بالله. وعد الشيخ رشيد رضا مصطفى كمال أتاتورك من المصلحين وتبعه تلميذه عبد المتعال الصعيدي في كتابه المجددون في الإسلام إلى غير ذلك من الأمثلة[1].

هذه إشارات سريعة إلى بعض ما أدى إليه تحريف مصطلح الإسلام والإيمان ومن المعلوم أنه لا يمكن الجمع بين هذه العقائد الإسلام والمسيحية واليهودية، كما جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية: «إن من يحدّث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين، بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان»[2].

وقد رد سيد قطب رحمه الله تعالى على هذا الاتجاه المنحرف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١] بقوله: «إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته... وهؤلاء الذين تختلط عليهم تلك الحقيقة ينقصهم الحس النقي بحقيقة العقيدة، كما ينقصهم الوعي الذكي لطبيعة المعركة وطبيعة موقف أهل الكتاب فيها، ويغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها، فيخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق وبين الولاء

(١) الدخيل في التفسير في القرن الرابع عشر: عبد الرحيم أبو علبه ١/١٠٨.
(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: ٢/١٣١.

الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة، ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب.. بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة.. وأن هذا شأن ثابت لهم[1]، وأنهم ينقمون من المسلم إسلامه، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم، وأنهم مصرون على الحرب للإسلام والجماعة المسلمة، وأنهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر.. إلى آخر هذه التقريرات الحاسمة.

إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب ولكنه منهي عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم. وإن طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب...

وسذاجة أية سذاجة، وغفلة أية غفلة أن نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين! أمام الكفار والملحدين! فهم مع الكفار والملحدين، إذا كانت المعركة مع المسلمين!!!

وهذه الحقائق الواعية يغفل عنها السذج منا في هذا الزمان وفي كل زمان حين يفهمون أننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب في الأرض للوقوف في وجه المادية والإلحاد - بوصفنا جميعاً أهل دين! - ناسين تعليم القرآن كله، وناسين تعليم التاريخ كله فأهل الكتاب هؤلاء هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين ألبوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة،

---

(١) كأنه يرى تكالب اليهود والنصارى على المسلمين في هذه الأيام.



وكانوا لهم درعاً ورداءاً، وأهل الكتاب هم الذي شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وهم الذين شردوا العرب والمسلمين في فلسطين، وأحلوا اليهود محلهم، متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية، وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان... في الحبشة والصومال وأرتيريا والجزائر ويتعاونون في هذا التشريد مع الإلحاد والمادية والوثنية في يوغوسلافيا والصين والتركستان والهند وفي كل مكان!.

ثم يظهر بيننا من يظن ـ في بعد كامل عن تقريرات القرآن الجازمة ـ أنه يمكن أن يقوم بيننا وبين أهل الكتاب هؤلاء ولاء وتناصر، ندفع به المادية الإلحادية عن الدين...

إن هؤلاء لا يعيش الإسلام في حسهم، لا بوصفه عقيدة لا يقبل الله من الناس غيرها، ولا بوصفه حركة إيجابية تستهدف إنشاء واقع جديد في الأرض، تقف في وجه عداوات أهل الكتاب اليوم. كما وقفت له بالأمس الموقف الذي لا يمكن تبديله لأنه الموقف الطبيعي الوحيد»[(١)].

ثم يقول: «إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم الذي لا أرجحة فيه ولا تردد بأن دينه هو الدين الوحيد الذي يقبله الله من الناس بعد رسالة محمد ﷺ.... هو ـ وحده ـ الذي يدفعه للاضطلاع بعبء النهوض بتحقيق منهج الله الذي رضيه للناس...

إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة باسم التسامح

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب ٢/٩٠٩ ـ ٩١٠ (باختصار).

والتقريب بين أهل الأديان السماوية يخطئون فهم معنى الأديان كما يخطئون فهم معنى التسامح فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله، والتسامح يكون في المعاملات الشخصية لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي.. إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن الله لا يقبل ديناً إلا الإسلام.. لا يقبل دونه بديلاً، ولا يقبل فيه تعديلاً ـ ولو طفيفاً ـ هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يقرر: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]... ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: ٥١].. وفي القرآن كلمة الفصل.. ولا على المسلم من تمييع المتميعين وتمييعهم لهذا اليقين»[1].

وأحسب أن جل ما عاناه المسلمون في كل مكان في القرن الرابع عشر ولا نزال نعانيه إنما هو من أهل الكتاب اليهود والنصارى[2].

٢ ـ الوحي:

ورد ذكر الوحي ومشتقاته في القرآن الكريم ٧٩ مرة، وورد بيان أنواعه في قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب ٢/ ٩١٢ (باختصار).

(٢) ولمعرفة مدى انتشار تحريف هذا المصطلح وتمييع الفوارق بين الإسلام وأهل الكتاب عند المفكرين والأدباء والشعراء ونشأة هذه الفكرة انظر: ما كتبه سليمان الخراشي في كتابه (محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة) ص٣٥٤ ـ ٣٨٥.

وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]، وقال سبحانه في آيات أخرى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، وقال عز شأنه: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٤]، وقال عزّ وجل: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [طه: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه: ١١٤].

وهذه الآيات وغيرها تدل على أن القرآن وحي، وأن الرسول ﷺ يوحى إليه كما يوحى إلى الأنبياء من قبله، وأن الوحي إلى الأنبياء من الله سبحانه وتعالىٰ وليس من غيره.

والوحي في الأصل الإعلام في خفاء، سواء كان بطريق الإشارة أو الكلام أو الرسالة أو الإلهام. قال الراغب الأصفهاني: «أصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة»(١).

ويرد به اصطلاحاً: «إعلام الله لأحد أنبيائه بحكم شرعي أو نحوه» وقد ورد بيان كيفيته في حديث «الحارث بن هشام حين سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت

---

(١) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني ص٥١٥.

عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً»[1].

ومن هذا يظهر أن الوحي من خارج النبي ﷺ وليس من ذاته وأنه يتلقاه من ربه وأنه هو الحد الفاصل بين الأنبياء الذين يوحى إليهم وأدعياء النبوة الذين يزعمون أنه يوحى إليهم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقد وقع تحريف لهذا المصطلح القرآني حين ادعت طائفة أن الوحي يجده الإنسان من نفسه!! فقالوا: «إن الوحي إلهام كان يفيض من نفس النبي الموحى إليه لا من الخارج، ذلك أن منازع نفسه العالية وسريرته الطاهرة، وقوة إيمانه بالله وبوجوب عبادته، وترك ما سواها من عبادة وثنية، وتقاليد وراثية رديئة يكون لها في جملتها من التأثير ما يتجلى في ذهنه، ويحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الروحية فيتصور ما يعتقد وجوبه إرشاداً إلٰهياً نازلاً من السماء بدون وساطة، أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك يعتقد أنه ملك من عالم الغيب، وقد يسمعه يقول ذلك، وإنما يرى ويسمع ما يعتقده في اليقظة[2]، كما يرى ويسمع مثل ذلك في المنام الذي هو مظهر من مظاهر الوحي عند جميع الأنبياء. فكل ما يخبر به النبي من كلام ألقي في روعه، أو عن ملك ألقاه على سمعه فهو خبر صادق عنده[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج٢.

(٢) فاتهم أن يقولوا وقد يراه مَنْ حوله من الصحابة!!.

(٣) لاحظ كلمة (عنده) فهو صادق باعتقاده، غير صادق في الواقع بزعمهم!!.

يقول هؤلاء الماديون: نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رأى وسمع وإنما نقول: «إن منبع ذلك من نفسه وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب»[١].

وقالوا: «كان محمد أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يكن فيلسوفاً ولكنه لم يزل يفكر في هذا الأمر إلى أن تكونت في نفسه بطريق الكشف التدريجي المستمر عقيدة كان يراها الكفيلة بالقضاء على الوثنية»[٢].

ولعله لهذا السبب أعرض الشيخ محمد عبده عن تعريف السلف للوحي وجاء بتعريف جديد يوافق هذا المنحى فقال في تعريف الوحي: «وقد عرفوه شرعاً[٣]: أنه إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت، ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور»[٤].

ولا يغرنك قوله: «مع اليقين بأنه من قبل الله» فهو يقين باعتقاد النبي لا في الواقع كما ذكرنا قبل قليل. فلو كان يقيناً في

---

(١) الوحي المحمدي: رشيد رضا: ٧٥.
(٢) من تعليق لشكيب أرسلان في كتاب (حاضر العالم الإسلامي): لوثروب ستودارد ١/٣٩.
(٣) إذاً هو يعرف المعنى الشرعي للوحي!!.
(٤) رسالة التوحيد: محمد عبده ص١٠٨.

الواقع لما صح أن يقال: (يجده الشخص من نفسه) إذا لو كان من قبل الله لم يكن من نفس النبي وإذا كان من نفس النبي لا يصح أن يقال: إنه من قبل الله!!.

وتأمل قوله: (يتمثل لسمعه) فهو مجرد تمثل وليس حقيقة، تهيؤ نفسي لا حقيقة له في الخارج!!.

ولم يستطع رشيد رضا التخلص من هذه الفكرة حين عرف الوحي بقوله: «ووحي الله تعالى إلى أنبيائه علم يخصهم به من غير كسب منهم ولا تعلم من غيرهم بل هو شيء يجدونه في أنفسهم من غير تفكر ولا استنباط مقترناً بعلم وجداني ضروري بأن الذي ألقاه في قلوبهم هو الرب القادر على كل شيء، وقد يتمثل لهم ملك فيلقنهم ذلك العلم وقد يكون بغير وساطة ملك»[١]، حيث نراه يلتزم (يجدونه في أنفسهم) و(يتمثل لهم ملك)[٢]، بل زاد على شيخه وصفاً بقوله: (ولا تعلم من غيرهم) وهو زعم يبطله قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٥]، ثم إنه ينقضه بنفسه بقوله بعد هذا: «وقد يتمثل لهم ملك فيلقنهم ذلك العلم».

ولهذا التضارب في آرائهم والتناقض في تعريفاتهم نجد أن محمد فريد وجدي يعد إثبات الوحي «أشد ما ترتطم به عقول المعاصرين من الشبهات العلمية»[٣].

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ١/ ٢٢٠.

(٢) تأمل التمثل هنا ليس هو التمثل في حديث الحارث بن هشام (وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً) فظهور الملك في صورة رجل تمثل أما ظهوره في صورته الحقيقية فلا يقال فيه تمثل.

(٣) الإسلام دين الهداية والإصلاح: محمد فريد وجدي ص١١.

ومن المؤسف أن هذا التعريف للوحي: (عرفان يجده الشخص من نفسه) قد تلقاه طائفة من العلماء والكتاب وصار بعضهم يردده من غير تأمل ولا تفكر.

ويكفي في بيان أثر هذا التعريف أنه يلغي الحد الفاصل بين الأنبياء الذين يستمدون شريعتهم وأحكامهم من ربهم من غير زيادة ولا نقصان: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦]، وبين من يستمد آراءه وأحكامه وقوانينه من عند نفسه.

ولأهمية هذا الحد الفاصل بين هؤلاء وهؤلاء وكونه السمة البارزة في وزن تلك التشريعات أن تكون ربانية أو وضعية سعى أعداء الإسلام للتشكيك في تلقي محمد ﷺ الوحي من ربه وجعلوا هدفهم ومقصودهم ترسيخ فكرة أن ما دعا إليه محمد ﷺ من المبادئ والأحكام التشريعية ليس إلا من تفكيره الذاتي[1]، ليقضوا بهذا على الإسلام كله ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨].

ذلكم أن القرآن الكريم إنما أنزله المسلمون هذه المنزلة العليا، واستمدوا منه أحكامهم وحَلَّ في قلوبهم تلك المكانة إنما هو لاعتقادهم أنه كلام الله سبحانه وتعالىٰ وتشريعه، وليس لمحمد ﷺ إلا تبليغه للناس. وكذا العقيدة الإسلامية كلها إنما تستمد أحكامها ونظامها من ذلكم القرآن فهي أيضاً مستمدة من الله سبحانه وتعالىٰ ليس للبشر فيها إلا التبليغ والإقرار.

(١) انظر: كبرى اليقينيات الكونية: محمد سعيد رمضان البوطي ص٢٠٠.



بل الأنبياء أنفسهم إنما اتبعهم من اتبعهم من الناس وامتثلوا لأمرهم لأنهم إنما يعتقدون فيهم أنهم مبلغون عن الله سبحانه وليسوا مبتدعين ذلك من عند أنفسهم فليس لهم فيما يحكون إلا البلاغ ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٧﴾ [يس: ١٧].

فلا عجب أن يتجه من يريد هدم الإسلام من أعدائه في القديم والحديث إلى تلك العقيدة عقيدة الوحي. وذلك بالتشكيك في صحتها والتشكيك في ثبوت الوحي لمحمد ﷺ بأن ما يقوله من وجدانه ومن نفسه لا من خارجها وتلقف شبهاتهم طائفة من هذه الأمة عن جهل بمدلولها أو علم وإدراك وقصارى ما يثبت للرسول ﷺ من هذه الدعوى إثبات عبقريته أو كونه من المصلحين.

ولهذا ظهر هذا التأثر في مؤلفات القوم حيث نجد محمد رشيد رضا يسمي كتابه (الوحي المحمدي) وهي تسمية خاطئة ذلكم أن الوحي إلهي لا محمدي، ونحن وإن كنا ندرك أن السيد رشيد لا يقصد بهذه التسمية نسبة مصدر الوحي لمحمد ﷺ إلا أنا ندرك أن هذا العنوان جاء تحت تأثير التعريف الخاطئ للوحي.

ولهذا أيضاً يسمينا أعداء الإسلام بالمحمديين والإسلام بالمحمدية وقد وصفت السيدة مريم جميلة بعد اعتناقها الإسلام مقالة نشرت في إحدى الصحف بعنوان «العالم المحمدي» فقالت: «إن عنوان هذه المقالة نفسها» «العالم المحمدي» هي تسمية خاطئة فنحن «مسلمون» ولسنا «محمديين» وإن هذه التسمية «المحمدية»

و«المحمدي» ابتكرها الصليبيون ليثيروا الكراهية للإسلام في أوروبا»[1].

وعند تجريد محمد ﷺ من الوحي الإلهي يصبح مجرد مصلح أو عبقري أو هكذا محمد الإنسان ونلمس هذا في مؤلفات تأثرت بهذا المنحى حين ألَّفَ العقاد «عبقرية محمد» مع «عبقرية الصديق» و«عبقرية عمر» كما نجد محمد حسين هيكل يكتب السيرة النبوية هكذا «حياة محمد» بدون وصف النبوة أو الرسالة أو حتى الصلاة والسلام عليه، وتتابعت مؤلفات كثيرة بعد هذا تتحدث عن محمد هكذا مجرداً من أي وصف، ونحن لا نزعم أن هؤلاء كلهم يقصدون ويعون هذا المعنى وإنما هو التلقي والتأثر بلا تأمل ولا تدبر.

وليس بوسعي هنا أن أتحدث عن آثار نسبة الوحي للرسول ﷺ وهي كثيرة من أظهرها:

١ ـ أن القرآن الكريم بشري لا إلهي.

٢ ـ أن الأحكام التشريعية قابلة للتعديل والإضافة والتغيير ولعل أثر ذلك ما نراه في دعوات كثيرة لإباحة الربا وإلغاء بعض الحدود الشرعية كرجم الزاني وقطع يد السارق، وفي فصل الدين عن السياسة، والاختلاط ومنع الحجاب والتعدد و... وإلخ.

ومن هنا ينفذ أعداؤنا إلى هدم الإسلام كله،وأكثر ما يؤلمنا أنه بأيدي أبنائه عن علم أو جهل والله المستعان.

---

(١) الإسلام في النظرية والتطبيق: مريم جميلة، ترجمة س أحمد، ص٢٨.

٣ ـ الملائكة:

ورد ذكر الملائكة في القرآن الكريم ٨٩ مرة بصيغ مختلفة قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ...﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]، وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومن صفاتهم التي وردت في القرآن الكريم[١]:

١ ـ العبودية لله عزّ وجل: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦].

٢ ـ الطاعة التامة لأوامر الله لهم والملازمة لعبادته: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧].

٣ ـ أن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١].

٤ ـ أنهم قادرون بإذن الله على التشكل والظهور بمظهر البشر، قال تعالى عن ضيف إبراهيم من الملائكة: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ٢٥]. وقال سبحانه عن مريم: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]. والأحاديث التي تثبت أن النبي ﷺ كان يرى جبريل عليه السلام على هيئة رجل كثيرة.

---

(١) انظر كتابي: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: ص٦١٧. وما بعدها.

وورد في القرآن أيضاً ذكر بعض وظائفهم[1]:

١ ـ فمنهم الموكل بالوحي: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

٢ ـ ومنهم الموكل بالصور ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الزمر: ٦٨]، وهو إسرافيل عليه السلام.

٣ ـ ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]، وقد ورد في بعض الآثار تسميته بعزرائيل.

٤ ـ ومنهم الموكل بحفظ العبد: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

٥ ـ ومنهم الموكل بكتابة أعمال بني آدم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١١].

٦ ـ ومنهم خزنة الجنة: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

٧ ـ ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم وفي يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت:

---

(١) أيضاً انظر كتابي: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: ص٦١٨. وما بعدها.

٣٠]، وقال سبحانه: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

٨ ـ ومنهم خزنة جهنم ومقدمهم مالك عليه السلام: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

٩ ـ ومنهم حملة العرش: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧]، وغير ذلك من الوظائف.

ومع وضوح حديث القرآن الكريم عن الملائكة عليهم السلام وبيانه لبعض صفاتهم ووظائفهم ووجوب الإيمان بهم إلا أنا نرى من شق عليه الإيمان بذلك وظل يصارع في داخله شبهات الفلاسفة والماديين الذين يزعمون أن الملائكة قوى معنوية وأن جبريل عليه السلام هو العقل الفعال وهو ما يتخيل من نفس النبي ﷺ من الصور الخيالية، وكلام الله يوجد في نفسه كما يوجد في نفس النائم[١].

ويصف الدكتور ناصر العقل هذا الصراع الداخلي في نفوسهم بقوله: «إن الشيخ محمد عبده يعتبر من أوائل العلماء المسلمين الذين تعرضوا في العصر الحديث لتأويل نصوص القرآن لتتفق مع النظريات الغربية خاصة ما يتعلق بأمور الغيب كالملائكة، والجن، والقصص، والمعجزات، وأحس أنه إذا عرض لتفسير هذه الأمور.... أنه يقع في تناقض واضطراب ومراوغة بين الالتزام

(١) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: عبد العزيز السلمان ص٣٧.

والتأول. وكأنه يشعر برقيب من العلم الحديث، أو لعله كان يريد المصالحة والتقريب بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون لكنه ـ كما عبر الشيخ مصطفى صبري في كتابه (موقف العقل)[1] ـ قرب المؤمنين إلى الإلحاد خطوات ولم يقرب الملحدين إلى الإيمان خطوة»[2].

وأرى أن الشيخ محمد عبده وبعض تلاميذه يرون ما يراه الماديون في الملائكة ويؤيدونه ويحبذونه ويدافعون عنه، يقول الشيخ محمد عبده: «أما الملائكة فيقول السلف فيهم: إنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم فيجب علينا الإيمان بهم، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم فنفوض علمها إلى الله تعالى. فإذا ورد أن لهم أجنحة نؤمن بذلك ولكننا نقول: إنها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور إذ لو كانت كذلك لرأيناها، وإذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار فإننا نستدل بذلك على أن في الكون عالماً آخر ألطف من هذا العالم المحسوس، وأن له علاقة بنظامه وأحكامه، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بإمكانه لذاته، ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به»[3]، هذا رأي السلف ـ حسب قوله ـ.

أما الرأي الثاني في الملائكة فإن الشيخ محمد عبده يرويه

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين: مصطفى صبري ١/١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) المدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية: ناصر بن عبد الكريم العقل ص٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٣) تفسير المنار: ١/ ٢٥٤.

ناقلاً أول الأمر لكنه يؤيده بعد هذا ويحبذه ويدافع عنه لأن فيه تقريباً للإيمان بالملائكة إلى عقول الماديين، ثم زعم أنه لا فرق بين هذا القول وقول السلف؟! وكأنه يريد تقريب السلفيين للماديين فقال: «وذهب بعض المفسرين مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة. وهو أن مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان. فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده فإنما قوامه بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكاً. ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية. إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة.

والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها، وبه قوامها ونظامها، لا يمكن لعاقل أن ينكره، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكاً وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكة أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً. لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع، فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات»[1]، ونقل الشيخ أحمد مصطفى المراغي هذا الكلام مؤيداً له[2].

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ١/٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٢) تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي ١/٨٦ ـ ٨٧.

قرر أن الملائكة هم القوى الطبيعية قوة الإنماء في النبات والحيوان والإنسان وقرر أن هذا هو رأي السلف!! والماديين لكنهم اختلفوا في تسمية هذه القوة!! الملائكة أو القوى الطبيعية فجعل الخلاف في التسمية لا في المسمى!! مع أنه نقل قبل أسطر أن السلف يعتقدون أن الملائكة خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم وأن لهم أجنحة.

ثم لا يستبعد الشيخ عبده أن تكون الملائكة هي تلك النوازع!! التي نحس بها عندما نتردد بين فعل شيء أو تركه!! فيقول: «يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير، ووجه للباطل أو للشر بأن في نفسه تنازعاً كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى، فهذا يورد وذاك يدفع، واحد يقول: افعل وآخر يقول: لا تفعل، حتى ينتصر أحد الطرفين، ويترجح أحد الخاطرين فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسميه قوة وفكراً ـ وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكتنه حقيقتها ـ لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكاً (أو يسمي أسبابه ملائكة) أو ما شاء من الأسماء فإن التسمية لا حجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع»[١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، عاب محمد عبده أولئك الذين ينفرون من تسمية الملائكة بالقوى الطبيعية ويلتزمون تسميتهم بالملائكة مشبهاً لهم بالمرضى الذين ينفرون من جيد الأطعمة التي لا تضرهم ويتشبثون بأضر طعام يفسد

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ١/ ٢٦٨.

الأجسام ويزيد السقام يقول: «ولست أحيط علماً بما فعلت العادة والتقاليد في أنفس بعض من يظنون أنهم من المتشددين في الدين إذ ينفرون من هذه المعاني كما ينفر المرضى والمخدجون من جيد الأطعمة التي لا تضرهم، وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم، ويتشبثون بأوهام مألوفة لهم تشبث أولئك المرضى والمخدجين بأضر طعام يفسد الأجسام ويزيد السقام، لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذي يتخيلونه من مفهوم لفظ قوة»[1].

ولنا أن نتساءل كما يتساءل هو ما الذي يجعله ينفر من تسمية الله لهم بالملائكة ويلتزم تسمية الماديين لهم بالقوى الطبيعية ألا يعلم أن الرفض ليس للاسم ذاته إنما لمدلوله إذ السلف لا يسمي هذه القوى ملائكة ليس لمجرد رفض الاسم وإنما لأن الملائكة مخلوقات تختلف عن هذه القوى. ولأن هذه القوى ليست من الملائكة فلكل معنى اسمه فالذين ورد وصفهم في القرآن هم الملائكة ولا يسمون بالقوى الطبيعية أو قوة الإنماء في النبات والإنسان والحيوان. وهذه القوى لا تسمى ملائكة لأن صفاتها لا تطابق الأوصاف التي ورد ذكرها في القرآن وليس فيها صفات الملائكة وخصائصهم.

وهذا التحريف للمصطلح القرآني لم يقع فيه محمد عبده فحسب بل تبعه تلاميذه كالمراغي وغيرهم من المنحرفين والملاحدة فهذا محمد أبو زيد يرى أن الملائكة (رسل النظام وعالم السنن) وأن سجودهم للإنسان معناه أن الكون مسخر له[2]، وقال:

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ١/ ٢٧٠.

(٢) الهداية والعرفان: محمد أبو زيد ص٧.

«والملائكة كما قلنا في ٣٤ رسل النظام والسنن في الكون»[١].

ولن أستقصي أسماء أو نصوص أولئك الذين حرفوا مصطلح الملائكة إلى هذه المعاني الباطلة إلا أني سأذكر تحريف أحدهم لهذا المصطلح وما أدى به إليه. وهو د. حسن حنفي الذي زعم أن الفكر الغيبي أقرب إلى الأساطير منه إلى الفكر الديني وأن قصص آدم وحواء، والملائكة، والشياطين كلها رموز(!!) أو جزء من الأدب الشعبي واعتبر إيمان ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، بوجود الشياطين والجن أحد وجوه الضعف في فكرهما(!!) ورأى أن الإنسان لا يحتاج لكونه مسلماً إلى الإيمان بالجن والملائكة بل قال: «يمكن للمسلم المعاصر أن ينكر كل الجانب الغيبي(!!) في الدين ويكون مسلماً حقًّا في سلوكه»[٢].

وقول سيد أمير علي: «إن ما نعتبره بعض مبادئ الطبيعة كان أسلافنا يعتبرونه ملائكة..»[٣]، وفي قوله (كان أسلافنا) تجاهل بأن الله تعالى هو الذي أخبر أسلافنا بالملائكة[٤]، ولذا لا عجب أن يقول بعد ذلك: «والحق أن الاعتقاد بالملائكة والشياطين قد ولد كثيراً من الخرافات»[٥].

---

(١) المرجع السابق: ص٣٣.

(٢) انظر: قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر: د. حسن حنفي ص٩١ ـ ٩٣، وانظر: ما كتبه طاهر محمود يعقوب في رسالة (أسباب الخطأ في التفسير) ص٨١٢ ـ ٨١٣.

(٣) روح الإسلام: سيد أمير علي ص٧٨.

(٤) المدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة: ناصر عبد الكريم العقل ص٢٤٧.

(٥) روح الإسلام: سيد أمير علي ص٧٩.

ولعلنا ندرك بعد هذا أن تحريف هذا المصطلح القرآني يؤدي بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى هذه النتيجة التي صرح بها حنفي وأمير علي نسأل الله السلامة والعافية.

٤ ـ الجن:

ورد ذكرهم في القرآن ٣٩ مرة قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومن صفاتهم التي وردت في القرآن الكريم:

١ ـ أنهم خلقوا من نار ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٧].

٢ ـ أن الله أرسل إليهم رسلاً: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].

٣ ـ أن منهم مؤمن ومنهم كافر: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ [الجن: ١٥].

٤ ـ أن الله يعاقب العصاة منهم بالنار كالعصاة من الإنس: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٩].

٥ ـ أن الله أعطاهم قوة لا توجد في الإنس قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل: ٣٩].

٦ ـ أنهم لا يعلمون الغيب: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ١٠].

٧ ـ أنهم يتزوجون: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: ٧٤].

٨ ـ ويتناسلون: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

٩ ـ أنهم يروننا من حيث لا نراهم: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ﴾ [الأعراف: ٢٧].

ذلكم بعض ما ورد من صفاتهم في القرآن الكريم وذلك مجمل معتقد السلف في الجن ولا يصفونهم بأكثر مما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية لأنهم من أمور الغيب الذي لا يمكن القول فيه إلا بالنقل الصحيح.

وقد أنكرت طائفة من الناس كالماديين ونحوهم وجود الجن وأحوالهم ووقف آخرون حائرين بين أصحابهم الماديين وما يرونه من النصوص الشرعية الصريحة في إثبات وجودهم، فرأوا التوفيق بين الفريقين بتحريف مصطلح الجن عن المخلوقات التي سبق ذكر بعض صفاتها إلى مخلوقات أخرى يقر الماديون بوجودها فيكون الخلاف في الاسم لا المسمى كالخلاف السابق في الملائكة، فقرر بعضهم أن المراد بالجن الميكروبات وحدده رشيد رضا بميكروب الطاعون بقوله: «وقد كان غير المسلمين يعدون ـ أي من قبيل الخرافات ـ حديث أبي موسى الأشعري: «الطاعون وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة» رواه الحاكم وصححه، ثم صاروا بعد اكتشاف باشلس الطاعون يتعجبون منه بصدق كلمة (الجن) على ميكروب الطاعون كغيره. وقد ورد أن الجن أنواع منها ما هو من

الحشرات وحشائش الأرض»[1].

وقال: «وقد قلنا في المنار غير مرة أنه يصح أن يقال: إن الأجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعاً من الجن»[2].

وهل يتصور عاقل أن هذه الميكروبات أو حتى الحشرات التي ذكرها رشيد هي التي تحدث عنها القرآن وأن نفراً منهم استمعوا للقرآن وأن الرسول ﷺ اجتمع بهم وأنهم كانوا يسترقون السمع في السماء وغير ذلك!!

كما نجد السيد رشيد يحمل ما ورد من نصوص عن رؤيتهم على التخييل والوهم حيث قال: «والظاهر أن بعضهم كان يخيل إليه الخوف في البراري المنقطعة شيئاً يتلون فيهم على وجه خوفاً منه لاعتقاده أنه من الجن، ويحتمل أن يكون بعضهم رأى بعض القردة الراقية!! التي تشبه العجوز القبيحة الوجه فسموها السعلاة وأن تكون السعلاة التي أكلت من التمر في حديث أبي أيوب منها إن صح ما روي وكان عن مشاهدة»[3].

وأشهر من حرف مصطلح الجن وأوَّل النصوص القرآنية الصريحة بعد الشيخ محمد عبده هو الدكتور محمد البهي ولم يسبقه أحد في تأويله جميع النصوص الدالة على وجود الجن تأويلاً خطيراً أدى به في نهاية المطاف إلى إنكار عالم الجن وحمله على

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ٣١٩/٧.

(٢) المرجع السابق: ٩٦/٣.

(٣) المرجع السابق: ٥٢٥/٧ ـ ٥٢٦.

نفر غريب وغير معهود من البشر[1].

وأذكر من نصوصه في ذلك على سبيل الاختصار قوله: «وقد يطلق الجن على فريق خَيِّر من الناس، غريب وغير معهود، ولأنه غريب وغير معهود كان بمثابة غير المحسوس وغير المرئي(!!) يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾، فهذا النفر من الجن الذي أنصت للقرآن الكريم بمكة يقال: إنه قدم إليها من يثرب قبل الهجرة بسنتين وبعد إيمانه أخذ على عاتقه الدعوة إلى دين الله بين قومه بعد أن عاد من الحج إلى يثرب ثانية ويقال: إنه هو نفسه الفريق الذي ذكر في سورة الجن في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ . .﴾ [الجن: ١]، وأطلق على هذا النفر اسم الجن لأنه كان غير معروف بين المكيين وكان غريباً عن مجلس الرسول ﷺ وهو بمكة ومن هذا النفر يقال: إنه تكونت نواة الأنصار بالمدينة»[2].

وها أنت ترى أن عقيدته في الجن تقوم على (يقال: إنه قدم إليها من يثرب. .) و(يقال: إنه هو نفسه الفريق. .) و(يقال: إنه تكونت نواة الأنصار. .) ويقال هذه في مقابل النصوص القرآنية الصريحة والأوصاف العديدة التي تكشف بجلاء الحقيقة خطر عظيم على عقيدة صاحبها!

وأنكر أن تكون رسالة محمد ﷺ عالمية للجن والإنس فقال: «وقد آن الأوان أن يفهم المتصدي لتفسير القرآن أن لفظ الجن

(١) انظر: عالم الجن: عبد الكريم عبيدات ص١٢٣ ـ ١٢٤.
(٢) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك: د. محمد البهي ص١٣٣.

كلما ورد في القرآن قصد به «غير المعهود» ثم يستثني د. البهي موضعين قصد بالجن فيهما معنى آخر الأول «أطلقه القرآن مرة على فريق من الناس لم يكونوا معهودين للرسول عليه السلام وهو يجالس المؤمنين به في مكة وورد هذا الإطلاق في سورة الأحقاف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ . .﴾ الآية [الأحقاف: ٢٩]، وقصد بهذا النفر الفريق الذي قدم من المدينة للحج وبايع الرسول ﷺ بعد هذا اللقاء فيما يسمى بيعة العقبة وهو فريق من الأوس والخزرج»!! ثم ذكر الثاني بقوله: «كما أطلق القرآن لفظ الجن مرة أخرى على الملائكة في سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الصافات: ١٥٨]، فالسياق قبل وبعد يحدد أن الجِنَّة هنا هم الملائكة الذين ادعى مشركو قريش أنهم بنات الله» ثم قال: «وفيما عدا هذين الموضعين فلفظ الجن مفهوم لغوي لا يقصد منه سوى غير المعهود للإنسان شريراً أو خَيِّراً، ماهراً أو غير ماهر»[1].

ولأجل تقرير هذا المعنى الباطل جاء بتفسيرات جديدة وتأويلات باطلة للآيات التي يذكر فيها الجن فمثلاً وحتى يقرر أن العفريت من الجن الذي قال لسليمان عليه السلام حين طلب إحضار عرش بلقيس ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ﴾ هو من البشر غير الظاهرين في ملأ سليمان عليه السلام، ولتعذر ذلك على البشر زعم أن سليمان عليه السلام لم يطلب إحضار العرش وإنما طلب رسم خريطة تصور مملكة بلقيس (!!) ولأن هذا الرجل لا يعرف الرسم والكتابة فقد جاء رجل آخر (الذي عنده علم من الكتاب) وأبدى قدرته على إحضاره في

---

(١) تفسير سورة الفرقان: محمد البهي ص٤ ـ ٥.

أقصر مدة ممكنة وهي ما يعبر عنه بـ(قبل أن يرتد طرفه)[1].

فانظر كم حرَّف من آية حتى يصل إلى مراده وقل مثل هذا في بقية الآيات، فضلاً عن الأحاديث النبوية الكثيرة في ذلك.

والخلاصة أن د. البهي[2]، لا يرى الجن صنفاً ثالثاً يقابل الملائكة والإنس بل يراه نوعاً من البشر غير معهود أو الشخص المغمور في مجتمعه وهو تحريف للمعنى المراد بالجن يؤدي حقيقة إلى إنكار وجودهم لأنه ما أثبته هو الصنف الأول (الإنس) وليس صنفاً مستقلاً.

ومن الذين حرفوا هذا المصطلح القرآني (الجن) إلى مدلول غير مدلوله محمد أبو زيد الذي قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، «يطلق الجن والجنة على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين، ويعبر عن الإنس بسائر المقلدين والتابعين المستضعفين»[3]، ولكنه جاء بتعريف آخر للجن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: ١٧]، فقال: «الجن يطلق على العالم الخفي والظاهر القوي. وجن كل شيء أوله ومقدمته، وجن الجيش قواده ورؤساؤه»[4]، وعرفه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ

---

(١) تفسير سورة النمل: محمد البهي ص١٩.

(٢) استوفى الأستاذ. عبد الكريم عبيدات في كتابه (عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة) أقوال د. محمد البهي والرد عليه ص١٢٣ ـ ١٥٨، ومنه نقلت أكثر أقواله.

(٣) الهداية والعرفان: محمد أبو زيد ص٤٥٨.

(٤) الهداية والعرفان: محمد أبو زيد ص٢٩٧.

خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٧]، بتعريف ثالث فقال: «والجان النوع المتشرد صاحب الطبع الناري الذي إذا قاربته يؤذيك ويغويك ولا تستطيع أن تمسكه وتعدله والنوعان موجودان في كل أمة»[١].

وتحريف هذا المصطلح القرآني يؤدي إلى نفس النتيجة التي يؤدي إليها تفسيرهم للملائكة من إنكار للوجود بل قد يؤدي لعدم الإيمان بالغيبيات كلها.

ولعلي أكتفي بما ذكرت من أمثلة لتحريف المصطلحات القرآنية في العقيدة وهناك مصطلحات أخرى كثيرة يضيق المقام عن الوقوف عندها كمصطلح النبوة، والرسالة، والمعجزة، والوسيلة، والفسق، والشياطين وغير ذلك كثير.

---

(١) الهداية والعرفان: محمد أبو زيد ص٢٠٤.

ثانياً: تحريف المصطلحات التشريعية:

وهو لا يقل خطورة عن تحريف المصطلحات العقدية وقد أدى التحريف فيها إلى إنكار جانب كبير من التشريع الإسلامي الذي يمثل جانباً من الدين الإسلامي كله.

ولعلي أذكر بعض الأمثلة لهذه المصطلحات.

١ ـ الزاني والسارق:

وقد ورد بيان حد الزنا في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، وورد بيان حد السرقة في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

والحقيقة الشرعية تقتضي إطلاق الزاني والسارق على كل من زنى أو سرق من غير شرط تكرر الزنا أو السرقة فالزاني كل من زنى ولو مرة واحدة والسارق كل من سرق ولو مرة واحدة ولم يرد اشتراط التكرار في القرآن الكريم ولا في السنة ولا في كلام أحد من السلف أو من الخلف فيما نعلم حتى جاء في هذا القرن الرابع عشر من يشترط تكرر الزنا وتكرر السرقة.

يقول محمد أبو زيد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، «واعلم أن لفظ السارق والسارقة يعطي معنى التعود أي أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم،

ويظهر لك من هذا المعنى أن من يسرق مرة أو مرتين ولا يستمر في السرقة ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده لأن قطعها فيه تعجيز له ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه»[1].

وقال مثل هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، فزعم: «يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنا وكان من عادتهما وخلقهما فهما بذلك يستحقان الجلد»[2].

وكرر هذا الزعم في مقالة نشرها في جريدة الأهرام ١٤ مايو ١٩٣١م فقال: «ورأيي في السارق والسارقة والزاني والزانية مبني على اللغة التي تفرق بين الفعل واسم الفاعل».

نعم اللغة تفرق بين الفعل واسم الفاعل فالفعل يدل على الحدث مقترناً بزمن، واسم الفاعل يدل على الحدث وفاعله ولا يدل على تجدد قيام الوصف بالفاعل أو التعود عليه. وهو ما يختلف عن صيغ المبالغة التي تدل على معنى زائد في حدوث الصفة[3].

وقال مصطفى المهدوي: «الزانية والزاني بأل التعريف كقولك الفارس والطبيب ليغنيك عن بيان من هو الفارس أو من هو الطبيب، وكيف يمكن أن تكون المرأة أو الرجل هذا

---

(١) الهداية والعرفان: ص٨٨.

(٢) الهداية والعرفان: ص٢٧٤.

(٣) انظر: بلاغة القرآن: محمد الخضر حسين ص١٢٦ ـ ١٢٧، والدخيل في التفسير في القرن الرابع عشر: عبد الرحيم أبو علبة ص٦٣٥، والانحراف الفكري في التفسير المعاصر: يحيى شطناوي ١/ ٣٥٤.

الفارس أو ذلك الطبيب، فهل ترى أنك قد أصبحت ذلك الفارس إذا امتطيت صهوة جواد مرة أو مرتين أو عشر مرات، وهل ترى أنك أصبحت ذلك الطبيب إذا عالجت أهلك من صداع أو جرح أو غثيان، لا نظن أن (أل) التعريف قد وردت زائدة في قول الله تبارك وتعالى ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ وليس في القرآن كله حرف واحد زائد، أو ليس مسطوراً في الكتاب لحكمة بالغة»[1]، ثم قال: «ولذلك فإن الزانية والزاني هما اللذان أعدا للفاحشة بيتاً يُركن إليه بصفة ثابتة وبنظام مستقر، هذان يجلدان مئة جلدة دون رأفة وجلداً علنياً»[2]، وقال: مثل هذا في السارق والسارقة[3].

وذهب إلى هذا عباس محمود العقاد الذي قال: «والسارق والسارقة» من هو السارق؟ هل هو من يسرق مرة واحدة أو من تعود السرقة؟ فإن كلمة الكاتب مثلاً لا تطلق على كل من يكتب ويقرأ وإنما تطلق على من تعود الكتابة وأكثر منها، والإشارة إلى النكال وإلى عزة الله في الآية الكريمة قد تفيد معنى الاستشراء والاستفحال الذي يقضي بالنكال»[4].

وذهب إلى هذا مصطفى محمود حين كتب مقالاً في مجلة «صباح الخير بعنوان «قطع اليد في القرآن قال فيه: «إن الآية لا تذكر سارقاً أي سارق وإنما هي تأتي به معرفاً بأل التعريف فتقول:

---

(١) البيان بالقرآن: مصطفى كمال المهدوي ١/ ٣٤٨.

(٢) المرجع السابق: ١/ ٣٥٢.

(٣) المرجع السابق: ١/ ٣٥٦.

(٤) الفلسفة القرآنية: عباس محمود العقاد ص٨٣.

«والسارق والسارقة». . وأل التعريف لا تأتي في القرآن عبثاً ولا يوجد في القرآن حرف زائد إلا لحكمة ومعنى مقصود وسبب فارق بين كلمة «سارق» وكلمة «السارق» فالسارق الذي تقطع يده في القرآن هو محترف السرقة الذي يرتكبها ويعاودها أما الذي يسرق مرة في ظرف انفعالي فلا تنطبق عليه الآية وإنما يؤخذ بقوانين الردع الجنائية السائدة، وينذر بقطع يده إذا عاود السرقة فإذا عاد إلى السرقة بعد خروجه من السجن فهو السارق الحق الذي يقع تحت طائلة الآية»[١].

وانحراف مثل هذه التفسيرات ظاهر لا يحتاج إلى رد أو مناقشة، وإنا لنعلم أنهم وهم يقولون هذا يدركون أنهم يحرفون التفسير ولكنها الانهزامية أمام الغرب وحضارته بل صرحوا بهذا فهذا عبد المتعال الصعيدي أكثرهم إلحاداً في هذا التشريع يقول: «ألا لئن فعلنا (حدود السرقة والزنا والقصاص في الجروح) لنكونن في أعين العالم المتمدنين همجاً متوحشين»[٢]، فهم إنما قالوا ما قالوا من بعد ما تبين لهم الحق.

٢ ـ الربا:

مَرَّ تحريم الربا بمراحل أربع:

المرحلة الأولى: أول ما نزل في الربا قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩]، والآية

---

(١) مجلة صباح الخير المصرية العدد ١٠٩٣، في ١٦/١٢/١٩٧٦م مقال (قطع اليد في القرآن).

(٢) جريدة السياسة الأسبوعية: السبت ١٢/٢/١٩٣٧م.

من سورة الروم وهي مكية وليس فيها تصريح بتحريم الربا وإنما إشارة إلى محق الربا.

المرحلة الثانية: قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [النساء: ١٦٠ ـ ١٦١]، وبين فيها أن من معاصي اليهود أكلهم الربا وقد نهوا عنه وفي ذلك إشارة إلى أنه إذا كان أكل الربا محرماً على اليهود فأولى أن يكون كذلك بين المسلمين وهم خير أمة أخرجت للناس وهو تحريم بالتلويح لا بالتصريح.

المرحلة الثالثة: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وفي الآية تصريح بتحريم نسبة معينة من الربا وهي ما كانت أضعافاً مضاعفة وذلك تمهيد للتحريم النهائي.

المرحلة الرابعة: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩]، وفي الآية تصريح بتحريم الربا كله كثيره وقليله وتوعد أصحابه بأنهم محاربون لله ورسوله. وهل بعد هذا ما هو أغلظ في التحريم وأبشع في الوصف[1].

فالربا محرم في القرآن قليله وكثيره وهو معنى الربا في مصطلح القرآن. قال الدكتور محمد عبد الله دراز: «وهذا هو المعنى الحقيقي والاشتقاقي للكلمة، أما تخصيصها بالربا الفاحش

---

(١) انظر: كتابي دراسات في علوم القرآن الكريم ص٢٤٨ ـ ٢٤٩.

فهو اصطلاح أوروبي حادث، يعرف ذلك كل مطلع على تاريخ التشريع»[1].

والذين يشير إليهم د. دراز هم فئة ذهبوا إلى أن الربا المحرم هو ما كان أضعافاً مضاعفة.

فجمال الدين الأفغاني كان يقول بـ«جواز الربا المعقول الذي لا يثقل كاهل المديون ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال ويصير أضعافاً مضاعفة»[2].

ولهذا نجد تلميذه الشيخ محمد عبده يسلك هذا المسلك مباشرة فيقول: «إن الناس تحدث لهم باختلاف الزمان أمور ووقائع لم ينص عليها في هذه الكتب فهل نوقف سير العالم لأجل كتبهم؟ هذا لا يستطاع ولذلك اضطر العوام والحكام إلى ترك الأحكام الشرعية ولجأوا إلى غيرها» ولندعه يضرب لنا مثلاً لهذه الأحكام التي لم ينص عليها بزعمه!!: «إن أهل بخارى جوزوا الربا لضرورة الوقت عندهم والمصريون قد ابتلوا بهذا فشدد الفقهاء (!!) على أغنياء البلاد فصاروا يرون أن الدين ناقص فاضطر الناس إلى الاستدانة من الأجانب بأرباح فاحشة استنزفت ثروة البلاد وحولتها للأجانب، والفقهاء هم المسؤولون عند الله تعالى عن هذا وعن كل ما عليه الناس من مخالفة الشريعة لأنه كان يجب عليهم أن يعرفوا حالة العصر والزمان ويطبقوا عليه الأحكام بصورة يمكن للناس اتباعها(!!!) أي كأحكام الضرورات لا أنهم يقتصرون على المحافظة على نقوش هذه الكتب ورسومها ويجعلونها كل شيء

---

(١) دراسات إسلامية: د. محمد عبد الله دراز ص١٥٦ ـ ١٥٩.

(٢) جمال الدين الأفغاني: محمود أبو رية ص٩٨.

ويتركون لأجلها كل شيء»[1].

وكرر هذا الزعم تلميذه السيد رشيد حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، قال: «والمراد بالربا فيها ربا الجاهلية المعهود عند المخاطبين عند نزولها لا مطلق المعنى اللغوي الذي هو الزيادة. فما كل ما يسمى زيادة محرم»[2].

وحين قامت بمصر ضجة في مسألة الربا ودعا كثيرون إلى إنشاء بنك إسلامي عارض ذلك السيد رشيد ودعا إلى إنشاء مصارف (بنوك) زراعية تقرض بالربا المعتدل!! وعاب أهل البصيرة في الدين كما يسميهم بأنهم (يتبعون الدليل ويتحرون مقاصد الشرع فلا يبيحون لأنفسهم الخروج عنها بحيلة ولا تأويل فيقال لهم: إن الإسلام كله مبني على قاعدة اليسر (!!) ورفع الحرج الثابتة)[3].

ثم جاء من بعدهم محمد أبو زيد ففسر الآية المذكورة بقوله: «أي الربا الفاحش، وبمعنى آخر الربح الزائد عن حده في رأس المال وتقدره كل أمة بعرفها»[4].

أما صاحب (الكتاب والقرآن) فقد جاء ـ كعادته ـ بما هو

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام: محمد رشيد رضا ١/ ٩٤٤، وتأمل في اضطراب النص. ما سر تخصيص أهل بخارى!! وخراسان وسمرقند ما رأيهم!! وتأمل العلاقة بين المقدمة (الأغنياء يرون أن الدين ناقص) والنتيجة (الناس استدانوا من الأجانب بأرباح فاحشة!!).

(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ٤/ ١٢٣.

(٣) المرجع السابق: ٤/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٤) الهداية والعرفان: محمد أبو زيد ص٥٣.

أعجب فهو يرى جواز الربا مع من لا يستحق الزكاة والصدقات بل مع الصناعيين والحرفيين والزراعيين والتجار... وهكذا دواليك ـ كما يقول ـ وجواز الربا مع هؤلاء بشرط أن لا يسددوا للبنك المقرض أكثر من ضعف المال. يقول: «لا يوجد في النظام المصرفي الإسلامي قرض مفتوح الأجل قد تبلغ الفوائد فيه أكثر من ضعف المبلغ لذا فإن أجل القرض في المصارف الإسلامية كحد أعلى هو حتى تبلغ الفائدة ضعف المبلغ ففي هذه الحالة يجب أن يكون المبلغ مسدداً وفي الحالات التي تبلغ فيها الفائدة أكثر من ضعف المبلغ الأصلي فيحق للمدين الامتناع عن دفع ما زاد عن الضعف... ففي حالة تقيد المصارف بهذه القاعدة فلا مانع أن يضع المسلم ماله في هذه المصارف لكي تديره ويأخذ عليه الفوائد. وفي هذه الحالة تكون الدولة المسلمة هي صاحبة الحق الوحيد في تحديد نسبة الفائدة السنوية طبقاً للوضع الاقتصادي السائد والمصارف فقط هي صاحبة الحق الوحيد في إعطاء القروض بفوائد وتطبيق أقصى العقوبات على الذي يقرض بفائدة من غير المصارف»(١).

وقد وصف الدكتور يوسف القرضاوي هؤلاء الذين زعموا أن الآية إنما نهت عن ربا الأضعاف المضاعفة وما عداه فهو في باحة الحل بقوله: «فرأينا من يدع النصوص الصريحة المحكمة من القرآن والسنة المؤيدة بإجماع الأمة ليلهث وراء نص متشابه محتمل، يريد أن يجعل منه أصلاً ترد إليه النصوص الأخرى، وهي البينات المحكمات»(٢).

---

(١) الكتاب والقرآن: د. محمد شحرور ص٤٧٠.

(٢) المرجعية العليا في الإسلام: د. يوسف القرضاوي ص٢١٩.

ثم ساق رد الدكتور محمد عبد الله دراز في رسالته عن الربا التي ألقاها في مؤتمر باريس للفقه الإسلامي سنة ١٩٥١م مندوباً عن الأزهر ووصف رده بأنه (أبلغ رد) وجاء فيه بعد أن ذكر مراحل تحريم الربا ووصف هؤلاء الذين أباحوا الربا القليل بأنهم اعتبروا المرحلة الثالثة وهي تحريم أكل الربا أضعافاً مضاعفة بأنها المرحلة النهائية بينما لم تكن إلا خطوة انتقالية في التشريع، وفيه لو كان الربا المحرم هو الأضعاف المضاعفة كما قد يفهم من تفسير هؤلاء لكان القرآن لا يحرم إلا ما بلغ ٦٠٠٪ من رأس المال لأن هذا هو الأضعاف المضاعفة لرأس المال، وعلق د. القرضاوي: وذلك ما لم نره في معاملة أجشع المرابين ولم نسمع به في تشريع سابق ولا لاحق فيكون القرآن على رأيهم متخلفاً عن جميع القوانين في هذا الشأن»[١].

٣ ـ مصطلحات تشريعية أخرى:

وليس بوسعي في هذه العجالة أن أتناول كل مصطلح على حدة أو حتى بشيء من التفصيل لذا فسأجمل هنا بعض المصطلحات التشريعية ـ إضافة لما سبق ـ التي وقع فيها تحريف عن مدلولها القرآني.

فالحج حَرَّفه بعض أهل التصوف المعاصرين إلى معنى صوفي فقال: «ولكن للعارفين حج آخر يحجونه متى اشتاقوا لحبيبهم وهو حج الروح لا يتكلفون سفراً ولا انتقالاً لأن مطلوبهم في أنفسهم وهو القلب الذي هو بيت الله العامر بأسرار الله وأنواره، وقد قال بعض العارفين: عجبت لمن يحن ويرحل لبيت الخليل وهو الكعبة

(١) المرجع السابق: يوسف القرضاوي ص٢٢٣.



كيف لا يحن ويشاهد العجائب في بيت بناه الرب الجليل وهو القلب. والغرض من القلب هو العامر بالإيمان والحب والتقوى والرحمة فهو كنز السعادة فكعبة الأشباح بمكة المكرمة (!!) وكعبة الأرواح معك وهو قلبك. فاحرص على الطواف حول المعاني التي فيك يتجلى لك خالقك وباريك متعنا الله بتلك المعاني»[١].

ونحمد الله أن حمانا من هذه المعاني الضالة التي تمس حرمة بيت الله، وتقلل من شأن ركن من أركان الإسلام وتغمز من مكانة الكعبة والمسجد الحرام فهي بيت إبراهيم!! وليست بيت الله الجليل بزعمه وهي كعبة الأشباح وكأن الطائفين بلا أرواح!! وتفضل الطواف حول هذه المعاني على الطواف حول الكعبة لمصلحة شبهة من شبهات الشيطان[٢].

أما الفروج في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٦] فمعناها معروف.

ومع هذا نجد من يفسرها بالنقائص والعيوب فيقول في ذلك: «أو ما ملكت إيمانهم من الخدم فإن لهم ما ليس لغيرهم فقد يكون في الإنسان فروج أي نقائص وعيوب يسيئه أن يراها الناس فيه ولكن لا يسيئه أن يراها خدامه»[٣] وهو تفسير لا تعين عليه اللغة ولا يدل عليه الشرع.

---

(١) ضياء الأكوان في تفسير القرآن: ٢/ ٨٤.

(٢) انظر لمزيد من هذه التأويلات الباطلة كتابي: اتجاهات التفسير ١/ ٣٩٧ وما بعدها.

(٣) الهداية والعرفان: محمد أبو زيد ص٤٥٥.

كما نجد مصطفى محمود يحرف معنى (غض البصر) في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] وقوله سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] بما يجري في القلب والعقل نتيجة إمعان النظر وليس مجرد إرسال النظر حيث يقول: «لو أخذنا بظاهر حروفها دون أن يكون جوهر القضية واضحاً في الذهن فسوف نجد أن الحياة الطبيعية في زمن الميني جيب والديكولتيه والجابونيز والصدر العريان والشعر المرسل والباروكات الذهب ـ أمر صعب ـ.. مجرد إرسال النظر لا ضرر منه (!!) ولكن الضرر فيما يجري في القلب والعقل نتيجة إمعان النظر الخبيث أن تتخطف العقل والقلب الشهوات فيتشتت الناظر ويأخذ سبيله وراء ظهر عريان فتلك عبودية وذل وهبوط إلى حالة كلب يتشمم وهنا يبدو معنى الآية ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ مطلوباً»[(١)].

ولم يتوقف عند هذا الحد وإنما جعل النظر المحرم عبادة!! فقال: «والرجل العابد الزاهد المشغول القلب بالله يرى الجمال فيرى فيه الخالق الذي صَوَّر وليس المخلوق (!!) فلا تكون نظرته حلال فقط وإنما تكتب له حسنة (!!) لأنه حين يقول بقلبه: (الله) عند رؤيته الوجه الجميل يمجد الخالق الذي صوّره..».

وقال بهذا المعنى الدكتور محمد شحرور في تفسيره لهذه الآية حيث فسر غض البصر من قوله تعالى: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ بقوله: فجاء هنا حرف الجر «من» للتبعيض أي جزء من كل، فأمرنا الله الغض من البصر لا غض البصر(!!)... ثم إنه استعمل

---

(١) القرآن محاولة لفهم عصري: مصطفى محمود ص٧٨ ـ ٨٥، باختصار.

فعل (غض) في اللسان العربي للدلالة على لطف الفعل لا على فظاظة الفعل فالغضاضة فيها لطف وطراوة فنقول غصن غض أي لين غير يابس، وهنا نضرب المثال التالي: إذا كان رجل يغير ملابسه وهو في وضع لا يحب أن يراه فيه أحد حتى ولو كان رجلاً ووقف حوله مجموعة من الرجال تنظر إليه فإنها ستسبب له الحرج، وكذلك المرأة إذا كانت في وضع لا تحب أن يراها فيه أحد حتى من النسوة فإنها ستشعر بالحرج إذا نظر إليها أحد، وهذا هو ما أراده الله منا رجالاً ونساءً (!!) أن لا ينظر بعضنا إلى بعض في مواقف لا نحب أن ينظر إلينا فيها، وهذا ما نسميه اليوم بـ(السلوك الاجتماعي المهذب) أي أننا يجب أن نأخذ موقف التجاهل في مثل هذه المواضع وهذا هو فعل (غض)، ولكن إذا كان الرجل يتكلم إلى المرأة أو العكس وهم في موقف غير محرج فعليه أن ينظر إليها وتنظر إليه ولا يوجد حرج ومنع في ذلك»[1].

وما دمنا في هذه الآية من سورة النور فلننظر ما قاله شحرور في الزينة والجيوب من قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ ..﴾ [النور: ٣١] الآية والمراد بالزينة كما يقول الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ ما تتزين به المرأة خارجاً عن أصل خلقتها ولا يستلزم النظر إليه رؤية شيء من بدنها كقول ابن مسعود رضي الله عنه ومن وافقه إنها ظاهر الثياب»[2] ثم قال: «وهذا القول هو أظهر الأقوال عندنا وأحوطها وأبعدها من الريبة وأسباب الفتنة»[2]

---

(١) الكتاب والقرآن: د. محمد شحرور ص٦٠٤ ـ ٦٠٥.

(٢) أضواء البيان؛ محمد الأمين الشنقيطي ١٩٧/٦ ـ ١٩٨.

وإنما رجح الشنقيطي هذا القول لأن لفظ الزينة في القرآن غلب استعماله على ما يزين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته ولأن هذا المعنى هو الغالب في استعمال لفظ الزينة في القرآن دَلَّ على أن المراد بالزينة في هذه الآية هو هذا المعنى[1].

ولهذا قال رحمه الله: «أن لفظ الزينة يكثر تكراره في القرآن العظيم مراداً به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، ولا يراد بها بعض أجزاء ذلك الشيء المزين بها كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] وذكر عدداً من الآيات التي ورد فيها لفظ الزينة[2] ثم قال: «فلفظ الزينة في هذه الآيات كلها يراد بها ما يزين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته كما ترى، وكون هذا المعنى هو الغالب في لفظ الزينة في القرآن يدل على أن لفظ الزينة في محل النزاع يراد به هذا المعنى الذي غلبت إرادته في القرآن العظيم.. وبه تعلم أن تفسير الزينة في الآية بالوجه والكفين فيه نظر»[3].

أما الزينة عند د. محمد شحرور فلن ينقضي عجبك من تفسيره لها. وكيف يجرؤ رجل فيه ذرة من عقل على هذا القول فضلاً عمن يدعي الإسلام واسمه محمد ثم يزعم أن هذا هو مراد القرآن!!.

---

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين الحربي ١/ ١٨٠.

(٢) وهي: ٦٠ القصص، ٦ الصافات، ٨ النحل، ٧٩ القصص، ٤٦ الكهف، ٢٠ الحديد، ٥٩ طه، ٨٧ طه.

(٣) أضواء البيان: الشنقيطي ٦/ ١٩٩.

يرى شحرور أن الزينة هي (جسد المرأة كله) وليس المكياج والحلي وما شابه ذلك. ثم يقسم هذه الزينة (جسد المرأة) إلى قسمين:

القسم الأول: الزينة الظاهرة.

القسم الثاني: الزينة المخفية.

والزينة الظاهرة هي ما ظهر من جسد المرأة بالخلق. أي ما أظهره الله سبحانه وتعالىٰ في خلقها كالرأس والبطن والظهر والرجلين واليدين وعلل ذلك بأن الله خلق الرجل والمرأة عراة دون ملابس.

والزينة المخفية ما أخفاه الله في بنية المرأة وتصميمها. هذا القسم المخفي هو (الجيوب).. والجيب كما نعلم هو فتحة لها طبقتان لا طبقة واحدة وهو الخرق في الشيء.. فالجيوب في المرأة لها طبقتان أو طبقتان مع خرق وهي ما بين الثديين وما تحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والإلتين هذه كلها جيوب فهذه يجب على المرأة المؤمنة أن تغطيها لذا قال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.. لذا أمر الله سبحانه وتعالىٰ المؤمنات بتغطية الجيوب التي هي الزينة المخفية خلقاً وسمح لهن بإبداء هذه الجيوب بقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ هذا الإبداء لا يكون إلا لشيء مخفي أصلاً كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].. وقد يقول البعض أليس الفم والأنف والعينان والأذنان من الجيوب؟ نقول: نعم ولكنها جيوب ظاهرة لأنها في الوجه ورأس المرأة أو الرجل هو أظهر جزء منه وهو هوية الإنسان[1].

---

(١) انظر: الكتاب والقرآن: د. محمد شحرور ص٦٠٥ ـ ٦٠٧ باختصار.

أي أن شحرور يرى أن في المرأة زينتين الأولى سائر جسمها ما عدا الزينة المخفية وهي ما بين الثديين وما تحتهما وما تحت الإبطين والفرج والإليتين وما عدا ذلك فيجوز كشفه للأجانب فيجوز للأجنبي أن يرى ليس وجه المرأة فحسب بل صدرها وثدييها (دون ما تحتهما وما بينهما) وفخذيها وساقيها حتى فرجها وإليتيها لكن الظاهر منهما دون ما بين الطبقتين وهما هنا (الشفرين) وإليتيها دون ما بينهما وهو (فتحة الشرج)[1]!!.

أما الزينة المخفية وهي ما تحت الثديين وما بينهما وما بين الإليتين وداخل فرجها فيجوز إبداؤه للذكور التالية مواقعهم يقول: «هذا الإبداء للجيوب بالنسبة للمرأة يجوز للذكور التالية مواقعهم منها:

١ ـ الزوج (بعولتهن). ٢ ـ الأب (آبائهن). ٣ ـ والد الزوج (آباء بعولتهن). ٤ ـ الابن (أبنائهن). ٥ ـ ابن الزوج (أبناء بعولتهن). ٦ ـ الأخ (إخوانهن). ٧ ـ ابن الأخ (بني إخوانهن). ٨ ـ ابن الأخت (بني أخواتهن).

قد يقول البعض: هذا يعني أن المرأة المؤمنة يحق لها أن تظهر عارية تماماً أمام هؤلاء المذكورين أعلاه والمذكورين في نص الآية. أقول: نعم يجوز إن حصل ذلك عرضاً، فإذا تحرجوا من ذلك فهو من باب العيب والحياء «العرف» وليس من باب الحرام والحلال. لأنه شملهم مع الزوج. أي إذا شاهد والد ابنته وهي

---

(١) عذراً لهذا التصريح لكن المقام مقام مسألة يجب تحريرها وإلحاد ينبغي كشفه وقد ورد في الحديث من التصريح نحو هذا في حديث ماعز رضي الله عنه.

عارية فلا يقول لها: هذا حرام. ولكنه يقول لها: هذا عيب. ووضع هؤلاء المحارم مع الزوج لأنها غالباً تعيش معهم فعلى المرأة المؤمنة أن لا تحرج من هؤلاء»[١].

ثم تساءل «فهل يمكن هنا أن تكون الزينة أمراً غير الجيوب التي شرحتها؟ وهكذا أخطأ الفقهاء (!!) حين اعتبروا أن الزينة المذكورة في الآية هي زينة الأشياء وإنما هي زينة المواقع.. إننا نقول هذا لأنه آن الأوان لكي نتسلح بالفكر النقدي ونعيد النظر بأقوال الفقهاء كلهم حول المرأة»[٢].

ثم قال: «يجب أن يفهم من كلامي أنني لا أدعو المرأة أن تجلس عارية أمام الثمانية المذكورين أعلاه ولكن إذا حصل ذلك عرضاً فلا يوجد حرام ولكن تلبس أمامهم من باب العيب والحرج لا من باب الحرام»[٣].

ثم لم يكفه هذا العدد من الذين يجوز لهم أن يروا الزينة المخفية فقال في تفسير قوله تعالى في هذه الآية: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾: «هؤلاء الرجال يتبعون المذكورين أعلاه في الحكم وهم الرجل غير ذوي المآرب وليس المعتوهين أو المجانين فالشهوة الجنسية لا تخبو عند المجانين. فمثلاً الطبيب عندما يريد أن يولد المرأة فإنه يرى فرجها ولكن ليس له أي مأرب فيها، فعليها والحالة هذه أن تعتبره كوالدها (!!) أو كولدها وإذا أراد الطبيب أن يكشف على المرأة في منطقة الجيوب تحت

---

(١) المرجع السابق ص٦٠٧.

(٢) المرجع السابق ص٦٠٨.

(٣) المرجع السابق ص٦١١.

الإبطين أو بقية الجيوب فيعتبر في حكم أبيها، على النساء المؤمنات أن يفهمن ذلك ويعلمن أن المرأة يحق لها الذهاب إلى الطبيب الذي تراه مناسباً والذي ترتاح إليه ذكراً كان أم أنثى دون حرام أو حرج لأنه يدخل في بند (!!) ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ وهناك مهن أخرى وحالات تنطبق عليها ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ فعلى المجتهدين البحث عنهم وتبيانهم للمرأة مثلاً الطبيب وكل من يعمل في اختصاص الطب من مصوري الأشعة والمخدرين والممرضين ونحوهم إلخ»[1].

ولا يزال للحديث عنده بقية فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ يعني عنده «أن الله منع المرأة المؤمنة من العمل والسعي (الضرب) بشكل يظهر جيوبها أو بعضها كأن تعمل عارضة (ستربتيز) أو تقوم برقصات تظهر فيها الجيوب أو بعضها، ولكنه لم يحرم الرقص بشكل مطلق بل حرم عليها إظهار الجيوب أو بعضها بشكل إرادي.. ومن هنا نرى أن الله سبحانه وتعالىٰ حرم في حدوده مهنتين فقط على المرأة وهما: أ ـ التعرية (ستربتيز). ب ـ البغاء. أما بقية المهن فيمكن للمرأة أن تمارسها دون حرج أو خوف»[2].

وحتى تكتمل الصورة ينبغي أن نقول أنه يرى أن تغطية الجيوب المخفية هو الحد الأدنى من اللباس. أما الحد الأعلى فقد بينه بقوله: «ولكي لا يزاود الناس في اللباس وضع النبي ﷺ الحد الأعلى للباس المرأة بقوله: «كل المرأة عورة ما عدا وجهها

---

(١) المرجع السابق ص٦١١.

(٢) المرجع السابق ص٦١٣.

وكفيها»[1] أي بهذا الحديث سمح النبي ﷺ للمرأة أن تغطي جسدها كله كحد أعلى ولكنه لم يسمح لها بأي حال من الأحوال بأن تغطي وجهها وكفيها حيث أن وجه الإنسان هو هويته، فإذا خرجت المرأة عارية فقد خرجت عن حدود الله وإذا خرجت دون أن يظهر منها شيء حتى وجهها وكفيها فقد خرجت عن حدود رسول الله. وطاعة الله ورسوله في الحدود واجبة.

وهكذا نرى أن لباس معظم نساء أهل الأرض يقع بين حدود الله ورسوله وهذه هي فطرة الناس في اللباس وفي بعض الحالات القليلة يقف اللباس عند الحدود وفي حالات أقل يتجاوز اللباس الحدود»[2].

وتأمل قوله: (سمح النبي ﷺ للمرأة أن تغطي جسدها كله ما عدا وجهها وكفيها) فالأمر سماح وليس بواجب إذ الأصل كشف سائر الجسد ما عدا (الزينة المخفية)!!.

ولعلي أطلت في عرض هذا المثال وما ذلك إلا لأن هذا الكتاب قد انتشر ولقي من يقرؤه!! وكثرت الردود تبعاً لذلك عليه فأردت أن أقدم مثالاً للمستوى العقلي ولا أقول الديني فحسب لصاحبه عَلَّ ذلك يظهر حقيقة هذا الكتاب الذي يمتلئ بمثل هذه الصور.

---

(١) المرجع السابق ص٦١٥.

(٢) المرجع السابق ص٦١٤ ـ ٦١٥.

ثالثاً: تحريف المصطلحات اللغوية:

ولا أقصد بها لغوية بحتة ولكنها مصطلحات قرآنية ليست في مجال العقيدة ولا التشريع وإنما في اللغة وجرى القرآن على استعمالها بمعنى محدد وقد تكون صلتها باللغة العربية أكثر ظهوراً منها كمصطلح قرآني وسأذكر ـ على عجل ـ أمثلة معدودة لذلك. فمنها:

١ ـ الإسراء:

والسرى هو السير ليلاً وذلك أن سير الرسول ﷺ من مكة إلى المسجد الأقصى وعودته كان كله في الليل. وقد أجمع العلماء على هذا المعنى.

ولكن محمد أبو زيد جاء برأي جديد لم يقل به أحد من قبله ـ فيما أعلم ـ فقد قال: «الإسراء يستعمل في هجرة الأنبياء»[1] ويريد بهذا التوطئة لما بعده حيث قال: «المسجد الحرام» الذي له حرمة يحترم بها عند جميع الناس «المسجد الأقصا» الأبعد ـ مسجد المدينة ـ وقد بارك حوله فكان للنبي ﷺ هناك ثمرة وقوة وكان بالإسراء الفتح والنصر فكان كل ذلك من آيات الله»[1].

إذاً فهو يرى أن الإسراء هو هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى

(١) الهداية والعرفان: محمد أبو زيد ص٢١٩.

المدينة ولا أدري كيف يفسر المسجد الأقصى بالأبعد ثم يزعم أنه مسجد المدينة مع أنه لا مسجد هناك حينذاك، زد على هذا أن في القدس مسجداً هو أبعد من مسجد المدينة فضلاً عن أن الآية مكية باتفاق العلماء أي قبل الهجرة فلم يكن ثم هجرة.

زد على هذا أن الإسراء من مكة إلى البيت المقدس دلت عليه النصوص الكثيرة ورواها جمع عظيم من الصحابة رضي الله عنهم وهي في الصحاح[1].

كما نجد عبد الرحمن فراج يفسر الإسراء ومع أني لم أفهم قصده إلا أنه بعيد عن المعنى المراد ولعلكم تفهمون مراده يقول «أسرى» أوفى وأنهى «المسجد» القرآن (!!) (إلى المسجد الأقصى) إلى سدرة المنتهى ومعنى (الأقصى المنتهى) (!!) (الذي باركنا حوله) الحول هو خاتم أرواح القدس السبعة القرآن ثامن أرواح القدس»[2].

ولعله يريد بالإسراء العروج بالرسول ﷺ وإنكار الإسراء به صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس.

٢ ـ النفس الواحدة والزوج:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] والمراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام وزوجها حواء .

لكنا نجد الأستاذ عبد الرزاق نوفل رحمه الله تعالى يفسرها

---

(١) انظر كتابي: اتجاهات التفسير: ٣/ ١٠٩٠.

(٢) رسالة الفتح: عبد الرحمن فراج ص٤١ ـ ٤٢.

بغير ذلك ففسر النفس الواحدة بالبروتون وزوجها بالإلكترون، فبعد أن اعتبر اكتشافهما أكبر نصر علمي قال: «وهذه الحقيقة العلمية. التي يتيه بها العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة في صراحة (!!) ووضوح إذ تقرر الآية ١٨٩ من سورة الأعراف أن كل ما خلق الله إنما خلقه من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أليست هذه هي البروتونات والإلكترونات.. الكهارب الواحدة موجبة وسالبة أي النفس الواحدة.. الزوجية الجنس بين موجب وسالب»[1].

وهل يقبل أحد أن الآية تدل على هذا (بصراحة ووضوح)!! وكان يكفيه أن يكمل الآية ليعرف مدلولها (الصريح والواضح) ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩ ـ ١٩٠].

٣ ـ الحجارة والطير:

في قوله تعالى عن أصحاب الفيل: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ [الفيل: ٣، ٤] والمراد بها طين متحجر وقد رمي بهذه الحجارة قوم لوط، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود: ٨٢] وقال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الذاريات: ٣٢، ٣٣] فدل

---

(١) القرآن والعلم الحديث: عبد الرزاق نوفل ص١٥٦.

على أن المراد بالحجارة من سجيل حجارة من طين وهو ما رمي به جيش أبرهة وقوم لوط.

أما الطين فقد أبهمه الله تعالى ولم يعين نوعه واختلفت الروايات في تحديد نوعه لكنها كلها دلت على أن هذا الطير من الحجم بحيث يشاهده الناس وبحيث يحمل ما يصح أن يسمى حجارة ويقذف به.

إلا أن بعض المفسرين المعاصرين قالوا بغير ذلك فمحمد فريد وجدي في تفسيره يقول: «لا يبعد أن تكون تلك الطيور جراثيم الطاعون إذ لا مانع من تسميتها طيوراً»(١).

وقال أحمد مصطفى المراغي في تفسيره: «أي أنه تعالى أرسل عليهم فرقاً من الطير تحمل حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش فابتلوا بمرض الجدري أو الحصبة حتى هلكوا» ثم قال: «ولا شك أن الذباب يحمل كثيراً من جراثيم الأمراض فوقوع ذبابة واحدة ملوثة بالمكروب على الإنسان كافية في إصابته بالمرض الذي يحمله... فإذ أراد الله أن يهلك جيشاً كثير العدد ببعوضة واحدة لم يكن ذلك بعيداً عن مجرى الإلف والعادة»(٢).

وهذا التفسير استمدوه من أستاذهم محمد عبده الذي مَهَّدَ لتفسيره بقوله: «الطير هو ما يطير في الهواء سواء كان صغيراً أو كبيراً، وسواء كان مرئياً لك أم غير مرئي»، وقال: «فيجوز لك أن

---

(١) المصحف المفسر: محمد فريد وجدي ص٨٢٢.

(٢) تفسير المراغي: ٣٠/٢٤٣.

تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه..»[1].

ونحن وإن لم نقبل كل ما ذكره المفسرون في وصف هذا الطير من الروايات التي تصف حجمه وشكله وصفاً مثيراً لا يخلو من مبالغة وتهويل فإنا لا نقبل بحال تأويلها بأن المراد بها البعوض والذباب وبالحجارة الميكروبات وذلك أن السورة مكية ونزلت وكثير من القوم كفار يحابون الرسول ﷺ ويناوؤنه وفيهم كثير ممن شاهد الحادثة بعينه ولو لم يروا طيراً ترمي وحجارة تسقط لشنعوا بالرسول ﷺ وكذبوه.

فضلاً كما يقول الدكتور الذهبي عن أن: «العربي إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة لا ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال وقد جاء القرآن بلغة العرب وخاطبهم بما يعهدون ويألفون»[2] وتساءل الشيخ محمد الصادق عرجون مستنكراً «هل في عرف اللغة العربية واستعمالاتها إطلاق لفظ (الطير) على الحيوان المسمى بالميكروب»[3].

كما رد عليهم ردًّا حاسماً سيد قطب رحمه الله تعالى وهو كالسبيكة الواحدة لا أستطيع نقله كله لطوله ولا أستطيع اختصاره

---

(١) تفسير جزء عم: محمد عبده ص١٥٦.

(٢) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي ٣/ ٢٣٥.

(٣) نحو منهج لتفسير القرآن: محمد الصادق عرجون ص٣٥.

فدونك إياه إن شئت[1].

٤ ـ الهدهد، البقرة، العجل الحنيذ، النمل:

والمراد بها معروف لا يخفى، ومع هذا الظهور لمعناها والمراد بها فقد حرف قوم مدلولها إلى معان لم يسبقوا إليها.

فالهدهد في قوله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [النمل: ٢٠] قالوا عنه: «المراد بالهدهد إنسان كان يسمى الهدهد ويتولى رئاسة الشرطة السرية في حكومة سليمان عليه السلام»[2] وقال محمد أبو زيد «الهدهد: اسم طائر، فهل يكون من ذوي الجناحين ويكون كلامه كناية عما يحمل من الرسائل. أم من الخيالة: السواري، أو: الطيارين الآخرين»[3] ولا ندري ماذا يقصد بالطيارين الآخرين.

والبقرة وردت في القرآن في أكثر من موضع وهي حيوان معروف إلا أن أحدهم فسرها في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ [يوسف: ٤٣] بقوله: «معنى بقرة طائر»، وقال: «فقد رأى العزيز في المنام سبع طيور سمان يأكلهن سبع عجاف والتي سماها المحرفون بقرة واستقام لسان العرب على المعنى المحرف بعد الجيل الثالث الإسلامي تلك

---

(١) انظر: ٣٠/٢٥٢ ـ ٢٥٥، في ظلال القرآن: سيد قطب، وانظر: كتابي منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ٢/٧١٩ ـ ٧٢٩.

(٢) بيان القرآن: محمد علي اللاهوري ٣/١٤٣٥ عن القاديانى والقاديانية: أبو الحسن الندوي ص٥٤.

(٣) الهداية والعرفان: محمد أبو زيد ص٢٩٧.

الماشية اسمها (المها) والمها لا تأكل المها (!!) أما الطير فبعضه يأكل الطير»[1]!!.

وفسرها في موضع آخر بالدجاجة فقال: «﴿بَقَرَةٌ﴾ أي دجاجة ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ لم ينقطع منها البيض ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ وسط بين الصغيرة والمسنة تبيض البيض ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ صفراء اسم الطائر المسمى بالأوز والبط»، ثم قال: «فالغراب ﴿بَقَرَةٌ﴾ ليست بذلول ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ يحجل إذا سار»، ثم قال: «واصطاد كل إسرائيلي غراباً وقام بذبحه وقالوا لموسى عندما سمعوا أمر المولى بذبح الغراب ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [هود: ٦٩][2]».

وفسر العجل الحنيذ في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩] قال: «العجل الحنيذ هو إسحاق فهو الظل الذي جاء بعد أن كبر أبواه وانقطع رجاؤهما في الذرية...»[3] ومثل هذا لا يستحق أن نرد عليه بأن سياق الآيات بعدها يخالف تفسيره فهو ـ كما أحسبه ـ لا يعي ما يقول.

وهناك مصطلحات كثيرة حرفها المحرفون وأغلب ذلك ـ إن لم يكن كله ـ تحريف ظاهر معلوم البطلان.

---

(١) رسالة الفتح: عبد الرحمن فراج ص١٠.

(٢) المرجع السابق: ص ١٢.

(٣) رسالة الفتح: عبد الرحمن فراج ص٣٧.

آثار الانحراف في تفسير المصطلح القرآني

كنت أود أن أمهد لهذا البحث المختصر بحديث عن أسباب الانحراف وهي كثيرة وتستحق أن تدرس وتعالج، لكنني آثرت في هذه العجالة الاقتصار على الحديث عن الآثار.

والحديث عن الآثار حديث واسع أيضاً فإن كانت الكتابة عن تحريف المصطلحات القرآنية تستحق أن يكتب عنها في رسالة جامعية أو أكثر فإن الآثار وحدها تستحق أن يكتب عنها كذلك.

وقد تنادى العلماء والمصلحون لعلاج هذه الأزمة الفكرية، والمرض العقلي الذي أدى بهؤلاء إلى هذا الانحراف وهو تقديم العقل على الشرع.

واعتبره د. يوسف القرضاوي أخطر أسباب الانحراف والضلالة فقال: «ولهذا نجد عامة المبتدعين والمنحرفين قديماً وحديثاً يشتركون في هذه الفكرة السائدة لديهم، وهي تقديم العقل البشري على نص الوحي الإلهي فهذا هو عمدتهم الأولى. وقاعدتهم التي عليها يرتكزون، وإليها يستندون وهو المقدم عندهم، والمفضل لديهم، بحيث يتهمون الأدلة الشرعية إذا لم توافقهم ولا يتهمون عقولهم يوماً»[1]،

(١) المرجعية العليا في الإسلام: د. يوسف القرضاوي، ص٣٣١ ـ ٣٣٢.

وقال: «إن العقل نعمة عظيمة ولا ريب ولكن الوحي أعظم منه، وإن هداية العقل أعلى وأرسخ من هداية الحواس. ولكن هداية الوحي أعلى وأرسخ من هداية العقل، وفرق ما بين العقل والوحي هو فرق ما بين البشرية والألوهية فرق ما بين المخلوق والخالق»[1] ثم عرض أمثلة كثيرة لأباطيل العقلانيين وتناقضاتهم وما أدّى بهم إليه تحكيم العقل من اختلاف وتعارض في الألوهية فضلاً عن المسائل العقدية الأخرى[2]، واستعرض ذلك إلى أن وصل إلى العصر الحديث فقال: «وقد رأينا في عصرنا من يجتر أفكار الفلاسفة القدامى وإن كساها بثوب عصري. من يروج آراء المعتزلة بعد أن عافها ضمير الأمة، وإن لم يكن لأولئك ولا لهؤلاء عبقرية الفلاسفة ولا علم المعتزلة.

رأينا من يقف من الغرب وفكره نفس موقف القدامى من الإغريق وفلسفتهم أي موقف المعجب المبهور. لا موقف الفاحص الناقد، موقف التابع المقلد لا موقف المنتخب المتخير.

ومع هذا يتطاولون ويصفون أنفسهم بالتحرر والاستقلال، وكيف يكون متحرراً من عَبَّدَ نفسه لفكر الغرب، لا يحيد عنه، ولا يرتاب فيه، ولا يفكر في غيره، كيف يدعون التحرر وهم مستعبدون، أو الاستقلال وهم مقلدون؟!

لقد سميت هؤلاء في بحث لي «عبيد الفكر الغربي» وقال لي قائل: ألا تسميهم «تلاميذ الفكر الغربي» قلت: إن التلميذ يوقر أستاذه ولكنه يناقشه، وقد يعارضه ويرد عليه بعض ما ذهب إليه، بيد أن هؤلاء يأخذون أفكار الغرب الأساسية عن الدين والتاريخ،

---

(١) انظر المرجع السابق: ص٣٣١ ـ ٣٣٢.

(٢) انظر المرجع السابق: ص٣٣٢ ـ ٣٥٤.

والفرد والمجتمع، والله والإنسان، والكون والحياة، والوجود والمعرفة، والأخلاق والقيم، قضايا مسلمة لا تناقش وما خالفها يجب أن يرد إليها، وهذه هي العبودية الفكرية المرفوضة»[1].

ثم قال عنهم: إنهم يريدون «عصرنة» الإسلام ولا يفكرون ـ مجرد تفكير ـ في «أسلمة» العصر. يطالبون الإسلام أن يتطور ولا يطالبون التطور أن يسلم إنهم يعادون الإسلام لأنهم يجهلونه..

جهلوا مصادر الإسلام	فعادوا قرآنه وسنته
وجهلوا فقه الإسلام	فعادوا أحكامه وشريعته
وجهلوا تراث الإسلام	فعادوا تاريخه وحضارته
وجهلوا إعجاز الإسلام	فعادوا حركته وصحوته
وجهلوا أمة الإسلام	فعادوا خلافته ووحدته

جهلوا الإسلام.. وزعموا أنهم أبطال الثقافة، ونجوم الفكر، وكيف يكون مثقفاً من يجهل أصول دينه وأوليات عقيدته وشريعته وقيمه»[2].

ثم تساءل مستنكراً: لماذا كل هذا النواح على الهزيمة الفكرية للمعتزلة؟! ورد على هؤلاء النائحين ـ لا فض فوه ـ بما يشفي ويكفي مبيناً منزلة أهل السنة ومكانتهم وفضل المدرسة السلفية التي تتمثل في ابن تيمية وتلاميذه.

ويكفي في بيان خطر هذا الاتجاه أن نذكر بعض آثاره إجمالاً فمن آثار الانحراف[3]:

---

(١) المرجع السابق: ص٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٢) المرجع السابق: ص٣٥٠.

(٣) انظر في ذلك: «الانحراف الفكري في التفسير»: يحيى شطناوي ص٥٦٢ ـ ٧٣١.

أولاً: تعطيل دلالات النصوص القرآنية:

١ ـ في العقيدة:

ويظهر ذلك في تعطيل أسماء الله وصفاته، وفي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

ولا تكاد تجد مسألة من مسائل العقيدة سلمت من تأويل باطل أو تحريف ضال فقد ألغوا الفوارق بين الإسلام والمسيحية واليهودية كما مر بنا، ومزجوا المعتقدات حقها بباطلها، وطمسوا عقيدة الإيمان بالغيب بما يسلب الإنسان تلك الطاقة التي تحركها فيه العقيدة الصحيحة والتي بعث لأجلها الأنبياء، فأماتت الإحساس بهذه المعاني وألغت الآثار العظيمة لها وما ذل المسلمون هذا الذل إلا لضعف وهج العقيدة في القلوب.

٢ ـ في الأحكام الشرعية:

حيث سعوا إلى تعطيل الحدود، وأباحوا المحرمات كالربا والفواحش والتبرج والسفور، ففقد الأمن وعمت الفواحش، وانتشرت الجريمة.

ثانياً: إضعاف الأثر التربوي والنفسي للقرآن:

وإذا ضعف الأثر النفسي والتربوي للقرآن فلا فائدة كبيرة من سماع آياته، وقد ذم الرسول ﷺ قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرَّمِيَّة»[١].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج، حديث ٦٩٣١.

ثالثاً: إحداث البلبلة في ذهن المسلم:

فما إن يستقر المعنى الصحيح للآية القرآنية في ذهن المسلم حتى يسمع من مفسر يحسبه من علماء الأمة تفسيراً جديداً مخالفاً كل المخالفة لما استقر في ذهنه أولاً، وقد لا يستطيع بعضهم التفريق بين الحق والباطل ولذا نجد كتاباً مثل (الكتاب والقرآن) لشحرور وأمثاله في تخبطه واضطرابه يلاقي قرّاءً ويلاقي من يناقش في آرائه بل وتناولته بعض المحطات الفضائية في حوارات مباشرة!!

وهو أمر يسعى إليه أعداء الأمة بتنظيم وتدبير، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨].

رابعاً: زعزعة الثقة في النصوص القرآنية:

حيث سعى هؤلاء إلى نسف كثير من المسلمات والأمور المعلومة من الدين بالضرورة والتي لا يعذر أحد بجهلها، بل ما هو معلوم من مجرد اللغة، وهذا ما يحلم به أعداء الإسلام قديماً وحديثاً وهو إحداث هزة في نفس الفرد المسلم تنال من قدسية النص القرآني، لأن أكبر ما يغيظهم ويزيد حنقهم تلك القداسة المنقطعة النظير التي يضفيها المسلمون على هذا الكتاب الكريم، فتراهم يسعون بكل وسيلة لقطع صلة المسلم بهذا الكتاب السماوي لكي يبقى تائهاً مضطرباً في دينه لا تحكمه عقيدة[1].

ولهذا نجد في كتابات بعض المعاصرين من يتعامل مع النص القرآني كما يتعامل مع قطعة أدبية. قابلة للنقد والطعن والتشكيك

---

(١) الانحراف الفكري في التفسير المعاصر: يحيى شطناوي ٢/٦٢٧.

والصدق والكذب!! ويسعون لتغيير مفهوم النص القرآني عند المسلمين.

وسمى بعضهم الملتزمين بالنص القرآني عبدة النصوص كما قال أحدهم: «إذا كانت الوثنية في السابق عبادة الأصنام فهذه صيغة الزمن القديم، ولكن وثنية هذا الزمان صارت تتمثل في عبادة القوالب والرموز، في عبادة النصوص والطقوس»[1].

خامساً: الجرأة على القول على الله بغير علم:

وحين يسعى هؤلاء لتحقيق مآربهم وبث سمومهم لا تطاوعهم النصوص على ما يريدون فيستسهلون تحريف النصوص، والإلحاد بها، ويتجرؤون على القول على الله بغير علم، فيموت في قلوبهم الإحساس بالتأثم، ولا يحيك في نفوسهم إثم، فما لقلب بميت إيلام، فلا يمنعه بعد ذلك مانع، ولا يزعه وازع من أن يقول ما يريد بكل جرأة ولا خوف.

وكم رأينا ممن حرف القرآن وألحد في آياته من يجاهر بذلك بل وجد بعضهم أن هذا هو أقصر الطرق إلى الشهرة.

وبعد:

فإني أدرك أني أبتسر الحديث وأختصره أحياناً اختصاراً مخلاً، وما ذاك إلا لأني أشعر بوجوب الاختصار في هذا المقام مع تزاحم الأمثلة وكثرتها. ولعل فيما كتبت بعض الكفاية والله أسأل لنا ولهم الهداية من كل ضلالة والسلامة من كل انحراف.

---

(١) مقال «وثنيون أيضاً: عبدة النصوص والطقوس» فهمي هويدي، مجلة العربي، ص٣٤ العدد ٢٣٥.

المصادر والمراجع

١ ـ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢ ـ أسباب الخطأ في التفسير: طاهر محمود بن محمد يعقوب، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، عام ١٤٢٢هـ (غير منشورة).

٣ ـ الإسلام دين الهداية والإصلاح: محمد فريد وجدي، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٩هـ.

٤ ـ الإسلام في النظرية والتطبيق: المهدية مريم جميلة، مكتبة الفلاح، الكويت، ترجمة س أحمد، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٥ ـ الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٦ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

٧ ـ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده: جمع وتحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٨ ـ الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني: جمع وتحقيق محمد عمارة، المؤسسة المصرية العامة، دار الكاتب العربي القاهرة.

٩ ـ الإكليل في استنباط التنزيل: جلال الدين السيوطي، تحقيق سيف الدين كاتب، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

١٠ ـ الانحراف الفكري في التفسير المعاصر: يحيى بن ضاحي شطناوي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، عام ١٤١٩هـ (غير منشورة).

١١ ـ بحوث ودراسات في ضوء القرآن الكريم: أ.د. محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٣هـ.

١٢ ـ بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت (مصور عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية).

١٣ ـ بلاغة القرآن: محمد الخضر حسين الناشر علي رضا التونسي، دمشق ١٣٩١هـ.

١٤ ـ البيان بالقرآن: مصطفى كمال المهدوي الدار الجماهيرية، دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

١٥ ـ البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

١٦ ـ تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، مطبعة المنار، بمصر ١٣٥٠هـ.

١٧ ـ تجديد الفكر الإسلامي: د. محمد عماره دار الهلال، القاهرة ١٩٨٠م.

١٨ ـ التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدر التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر.

١٩ ـ تفسير جزء عم: محمد عبده، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، الأزهر ١٣٨٧هـ.

٢٠ ـ تفسير سورة الفرقان: د. محمد البهي مكتبة وهبة، القاهرة (بدون تاريخ).

٢١ ـ تفسير سورة النمل: د. محمد البهي مكتبة وهبة، القاهرة الطبعة الأولى شوال، ١٣٩٨هـ.

٢٢ ـ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٣ ـ تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ، مكتبة مصطفى الحلبي، بمصر.

٢٤ ـ تفسير المنار: محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، دار المنار، بمصر ١٣٤٦هـ.



٢٥ ـ التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.
٢٦ ـ تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة: د. محمد عمارة، دار الهلال القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
٢٧ ـ جمال الدين الأفغاني: محمود أبو ريه، دار المعارف، الطبعة الثانية.
٢٨ ـ حاضر العالم الإسلامي: لوثروب ستودارد ترجمة عجاج نويهض زيادات وتعليقات شكيب أرسلان، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ، دار الفكر، بيروت.
٢٩ ـ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: سيد قطب، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٣٠ ـ الدخيل في التفسير في القرن الرابع عشر الهجري: عبد الرحيم فارس أبو علبه، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من كلية الدراسات العليا في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية أم درمان، السودان لعام ١٤١٩هـ.
٣١ ـ دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية: د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت ١٣٩٣هـ.
٣٢ ـ دراسات في علوم القرآن الكريم: أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة الحادية عشرة ١٤٢٣هـ.
٣٣ ـ دين الله واحد على ألسنة جميع الرسل: محمود أبو ريه، عالم الكتب، القاهرة الطبعة الثانية.
٣٤ ـ رسالة التوحيد: محمد عبده، الطبعة الحادية عشرة، دار المنار، بمصر ١٣٦٥هـ، تصحيح محمد رشيد رضا.
٣٥ ـ رسالة الفتح: عبد الرحمن فراج (بدون تاريخ الطبع ولا ناشر ولا مكان النشر).
٣٦ ـ روح الإسلام: سيد أمير علي تعريب عمر الديراوي، الطبعة الثانية ١٩٦٨م، دار العلم للملايين، بيروت.
٣٧ ـ الزهد: الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، بيروت.
٣٨ ـ زهرة التفاسير: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٩ ـ صحيح البخاري: دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.
٤٠ ـ ضياء الأكوان في تفسير القرآن: أحمد سعد العقاد، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ.
٤١ ـ عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة: عبد الكريم نوفان عبيدات، دار ابن تيمية، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
٤٢ ـ العصريون معتزلة اليوم: يوسف كمال، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٤٣ ـ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.
٤٤ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، القاهرة.
٤٥ ـ الفلسفة القرآنية: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م.
٤٦ ـ في ظلال القرآن: سيد قطب، الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ، دار الشروق، بيروت القاهرة.
٤٧ ـ القادياني والقاديانية: أبو الحسن الندوي، الدار السعودية، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ.
٤٨ ـ القرآن محاولة لفهم عصري: مصطفى محمود، دار المعارف، بمصر ١٩٧٦م، وطبعة دار العودة، بيروت ١٩٧٩م.
٤٩ ـ القرآن والعلم الحديث: عبد الرزاق نوفل، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٣هـ.
٥٠ ـ قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر: د. حسن حنفي، دار التنوير، بيروت.
٥١ ـ قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٥٢ ـ كبرى اليقينيات الكونية: محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الثالثة ١٣٩٤م، دار الفكر.

٥٣ ـ الكتاب والقرآن قراءة معاصرة: د. محمد شحرور، الأهالي للطباعة، دمشق، الطبعة الرابعة ١٩٩٢م.
٥٤ ـ الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: عبد العزيز بن محمد السلمان، الطبعة الثانية ١٣٩٠، مطبعة السعادة، القاهرة.
٥٥ ـ لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت.
٥٦ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، دار عالم الكتب، الرياض ١٤١٢م.
٥٧ ـ محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: سليمان بن صالح الخراشي. دار الجواب ١٤١٣هـ.
٥٨ ـ المدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية: ناصر بن عبد الكريم العقل، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، عام ١٣٩٩هـ.
٥٩ ـ المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.
٦٠ ـ المصحف المفسر: محمد فريد وجدي، كتاب الشعب.
٦١ ـ المصطلح الإسلامي والمعاجم العربية: د. عبد الكريم بكري، مطبوع ضمن بحوث ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية المنعقدة في فاس، كلية الآداب ١٤١٤هـ.
٦٢ ـ مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم وأبعاده الحضارية. بحث قدم لندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، كلية الآداب فاس ١٤١٤هـ (مطبوع ضمن أبحاث الندوة).
٦٣ ـ المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، بمصر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٤ ـ مفردات القرآن: حميد الدين الفراهي الدائرة الحميدية، الهند ١٣٥٨.
٦٥ ـ المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ.
٦٦ ـ مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية تحقيق، د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

٦٧ ـ من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك: د. محمد البهي مكتبة وهبة، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.

٦٨ ـ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الخامسة ١٤٢٢هـ.

٦٩ ـ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين: مصطفى صبري، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ ١٣٦٩هـ.

٧٠ ـ نحو منهج لتفسير القرآن: محمد الصادق عرجون، الدار السعودية، جدة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

٧١ ـ الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا، الطبعة الثالثة ١٣٥٤هـ، مطبعة المنار، بمصر.

٧٢ ـ الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن: محمد أبو زيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر ١٣٤٩هـ.

* المجلات والدوريات:

١ ـ جريدة الأهرام المصرية.

٢ ـ مجلة السياسة الأسبوعية، القاهرة.

٣ ـ مجالة صباح الخير المصرية.

٤ ـ مجلة العربي الكويتية.

٥ ـ مجلة المنار، مصر.



فهرس الموضوعات

